الفصل الرابع

التربية وإعادة البناء السياسي في خطاب عفيفي مطر الشعري

مقدمة:

تتأجج في بوتقة الواقع العربي المعاصر منظومة مركبة من القضايا الاجتماعية والسياسية المتداخلة والمتضاربة في دائرتى الزمان والمكان ، فالإنسان العربي يعيش في دوامة من الأزمات والاختناقات التي تحيق بوجوده في طلبه وتقض مضاجعه ، حيث يجد نفسه في الموقع الذي تتجاذبه وتتنابذه في الآن الواحد تيارات فكرية وثقافية ساخنة وضاربة في كل زاوية من الوطن العربى الكبير، وفي دوامة هذه التيارات المتنافرة يقع الإنسان العربي فريسة للضياع الفكري والثقافي ويتصدع لديه إمكان التوافق بين الذات والوجود ويضعف لديه إمكان الخروج من الدوائر والمآزق الخانقة إلى دائرة الوعي الإيجابي بما ينطوي عليه هذا الوعي من إمكانات امتلاك الواقع والسيطرة عليه[1]

فواقعنا هو واقع المآسي السياسية والعسكرية بما تنطوي عليه من حروب وويلات ودمار ترمز إلى مظاهر وجود متخلف رهيب ومظلم. واقعنا هو نتاج حروب ومآسي لا تنقطع تتصدرها حرب الخليج الأولى والثانية ثم احتلال العراق من قبل قوات التحالف في أبريل 2004م بكل ما حملته هذه الحروب من آلام وجودية تفوق حدود التصور ، هذا بالإضافة إلى مواجهتنا مع العدو الصهيوني الذي يقتل كل لحظة أبناءنا في فلسطين ويهدم المنازل فوق رؤوسهم.

obeikandi.com

ثم يأتي فوق كل ذلك كله القهر الثقافي بمؤسساته الطاغية التي تريد اليوم أن تستلب منا خبز عروبتنا وأملاح انتمائنا إلى الأرض والإسلام والجذور[2]. لقد ألغى الغزو العراقي للكويت وما تلاه من إحتلال العراق من قوات التحالف الزخم الروحي والمعنوي الذي كانت توفره القومية العربية بكل ما كانت تنطوي عليه هذه القومية من طاقات هائلة في القدرة على تحريك الوجدان العربي والشارع العربي. وهذا ما أكده محمد جواد رضا بقوله: "لقد ألغى الغزو العراقي للكويت ذلك الاكتفاء الروحي الذي كانت توفره فكرة القومية العربية وخلق فراغا روحيا"[3].

والوطن العربي كيان ثقافي معقد التركيب تتداخل فيه عناصر الولاءات المحلية بالولاءات الوطنية ولا تتطابق فيه حدود الجغرافيا مع حدود المشاعر ولا حدود السياسة مع حدود الأمة[4].

وأمام هذا السياق فإننا أمام واقع أمة يحتاج لإعادة البناء السياسي فيها ، هذا البناء ينبغي أن يقوم على أسس ونظم تجعله قادرا على تجاوز واقعه والتصدي لكافة التحديات التي تقف في مواجهته، ومصر قلب تلك الأمة ، فإذا قويت مصر كان ذلك قوة للأمة العربية وإذا ضعفت كان ذلك ضعفا لتلك الأمة.

ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بتبني فلسفة اجتماعية واضحة المعالم ومحددة الأطر تكون هادية لفلسفة تربوية رشيدة وهذا ما يطرحه خطاب محمد عفيفي مطر الشعري.

أولا:

1-السياسة والمعرفة:

قلنا فيما سبق أن القهر الثقافي يستلب وجود أمتنا العربية وقد جعلها هذا القهر تعيش خواء وجوديا له وجهه الآخر ألا وهو العماء المعرفي ، فنحن

إزاء أمة تبقى هي هي في جوهرها ، أو لغة تبقى على ما هي عليه ، إنها المماهاة التامة حيث الشيء يتساوى مع نفسه، ولا يملك أن يكون سوى نفسه ، وما يكون كذلك لا ينتج معرفة إذ المعرفة هي خروج من سجن المماهاة بإيجاد نسبة بين الشيء والشيء أو باجتراح حد أوسط ينعقد به الفكر أن يخلق وسط مفهومي يتيح التلاقي والتواصل ، من هنا لا معرفة ، أي لا معنى ولا مفهوم من غير اختلاف ومغايرة أو من غير نسبة وتوسط أما المماهاة والمساواة والمطابقة فإطباق على العقل وخنق الفكر وقفل لأبواب المعرفة[5].

والسياسة بدون معرفة لا وجود لها على الرغم من اختلاف علماء السياسة على تحديد مفهوم واضح ومحدد لعلم السياسة غير أنه بمفهومه العام فإنه ينضوي تحت مظلة العلوم الاجتماعية. وإن غياب الأبحاث الاجتماعية والتربوية وندرتها في جميع الميادين يطرح نفسه مظهرا متقدما من مظاهر التخلف الاجتماعي. إن الواقع الاجتماعي الذي نجهل أبعاده ومضامينه قد يشكل مصادر أخطاء محدقة بالمجتمع ، ربما تكون نتائجها أكثر تدميرا من ثورة بركان مدمر[6]. وهذا يطرح بشكل حاد صورة إعادة البناء السياسي كقضية إشكالية في تلك المرحلة.

وتشكل النظم السياسية بالنسبه للدراسات السياسية البداية والغاية معا فالدراسات العلمية في نطاق السياسة تكاد جميعا تبدأ من النظم القائمة بقصد تحليلها كظواهر سياسية إلى عناصرها الأولى للحكم على مدى صلاحيتها في ضوء البحث ومن خلال قيم معينة بهدف تطويرها أو استبدالها بغيرها[7].

وقد قدم خطاب عفيفي مطر الشعري تحليلا جادا للنظم السياسية والفكر السياسي القائم في مصر والبلاد العربية والبحث عن السبيل لتطوير وتحديد مبادئ هذا الفكر وذلك من أجل إعادة البناء السياسي فى ضوء ما

يقدمه مطر من أسس ؛ ولهذا سوف أتناول دراسة البناء السياسي عند مطر موضحا مفهوم الأمة/الدولة ، أسس النظام السياسي ، مفهوم السلطة وطبيعة الحكومة وطبيعة الاستعمار وكيفية تحقيق استقلال الأمة العربية.

2-مفهوم الأمة/الدولة عند محمد عفيفي مطر:

تعرف الأمة بأنها كل جماعة يجمعهم أمر ما ، إما دين واحد، أو مكان واحد أو زمان واحد[8]. هذا بالإضافة إلى كونهم مجموعة من الأفراد تحققت الوحدة بينهم على أساس جغرافي وما يمكن أن يولده ذلك من مشاعر وعواطف فيما يمكن أن يسمى بالانتماء ، كما أن هناك عاملا آخر يساعد على توطيد هذه الوحدة ويتمثل هذا العامل في وحدة الزمان[9].

وتعرف الدولة بأنها طريقة لتنظيم السلوك الإنساني وهي النظام القانوني الذي تقيده معايير سلوك الأفراد[10] ، كما تعرف الدولة بأنها: "مجموعة من البشر تم تنظيمهم سياسيا في إطار حكومة مستقلة ويعيشون على أرض محددة[11].

وتتضح عناصر الدولة لدينا فتكون في إطار التعريف السابق أنها: الشعب ، الحكومة ، الاستقلال ، الأرض.

ولأن محمد عفيفي مطر ينتمي إلى الاتجاه القومي العربي فالأمة لديه هي مجموعة من الروابط المشتركة هذه الروابط هي أساس ووحدة هذه الأمة وتتجلى تلك الروابط في النقاط الآتية:

1. وحدة اللغة العربية المشتركة وهي لغة القرآن الكريم.
2. الوحدة الروحية والتي تتمثل في الروابط الدينية.
3. تاريخ الأمة العربية الواحدة ووحدة المصير المشترك.
4. الوحدة الجغرافية(الأرض)العادات والتقاليد والهوية الثقافة الواحدة
5. الحقوق المشتركة تجمع هذه الأمة تحت مظلة جامعة عربية سياسية[12].

3- السياسة والدولة:

تمثل الدولة بؤرة السياسة الرسمية للمجتمع ككل وتبقى الدولة بنظام حكومتها في أذهان غالبية الناس صاحبة اليد الأولى في السلطة ورسم السياسة أي أنها ساحة السياسة[13].

ويرى محمد عفيفي مطر أن الدولة "هي في مضمونها السياسي جهاز يقوم على خدمة الشعب وحمايته وتوفير الأمن والأمان والطمأنينة له يدير المصالح المشتركة بينهم ، كما أنها تجسيد في القانون الذي يضمن وحدة الوطن والأمة ، وهذه الدولة هي بمثابة المتحدث الرسمي لأبنائها أمام الدول الأخرى ، على أن يؤدي كل فرد فيها ما عليه من واجبات ويتمتع بما له من حقوق[14].

كما تنطوي فكرة السيادة على افتراض وجود دولة قائمة بالفعل على أساس سيادتها على رقعة أرض معينة ولكن هذه الفكرة تحمل بين جنباتها علاقة من حدين:

1. ففي ربط مستوياتها تعرف الدولة على أساس إحكام سيادتها على أراضيها وهذا ما يميزها عن باقي الأشكال الأخرى من النظم البشرية.

ويعرف "لاسكي" السيادة بأنها مرهونة بالإمساك بزمام السلطة على أرض محددة المعالم ، فالدولة تصدر أوامرها للكل ولا تتلقى أوامر من أحد داخل حدودها المعترف بها[15].

والأمة أمام ما مر بها من حروب وكوارث وإحتلال لبعض أقطارها فقد سيق كل ما فيها سبيا ومن ثم فقد بدأ ليل طويل:

دهرٌ من الظلمات أمْ هيَ ليلةٌ جمعتْ سوادَ
الكحل والقطران من رَهَجِ الفواجع في الدهورْ!!
عيناكَ تحت عَصابَةٍ عُقِدتْ وساختْ في
عظام الرأس عقدتُها

وأنتَ مجندلٌ ـ يا آخر الأسرى ..
ولستَ بمفْتَدًى ..
فبلادُكَ انْعَصَفتْ وسيقَ هواؤُها وترابُها سَبْيا ـ
وهذا الليل يبدأ ،

"هذا الليل يبدأ"[16] من احتفالات المومياء المتوحشة" ، ص 526.

قد استقوى الحكام بالقوى الأجنبية وقد ربطوا مصالحهم بها برباط وثيق من التبعية حيث بدأ ليل من الظلمات في ربوع هذه الأمة التي أمام تقزم حكامها فقدت الكثير من قوتها وفاعليتها وقد أدى ذلك إلى وقوف الأجهزة الحاكمة في وجوه المفكرين والأدباء وغيرهم من الذين يغارون على مستقبل هذه الأمة فقد عانى الشاعر محمد عفيفي مطر من تجربة السجن عام 1991 عندما عارض الحرب على العراق وضربها في نفس الوقت الذي دعا فيه أمته العربية أن تحرك آلياتها لإنسحاب القوات العراقية من الكويت ومحاسبة نظام العراق من خلال أمتنا العربية وقد قاده ذلك إلى تجربة الاعتقال التي رأى فيها الكثير من أصناف التعذيب والإرهاب .. يقول محمد عفيفي مطر: "لم تكن تجربة السجن والتعذيب جملة اعتراضية في مسيرتي أو مسيرة أي مثقف في مصر أو الوطن العربى أو العالم الإسلامى فهذه الرقعة الجغرافية التاريخية تنسحب وتتقلص ذليلة مهانة إلى زنزانة من تجليات السجن والتعذيب سنة بعد سنة منذ مجزرة بلاط الشهداء في "بواتيه" حتى مجازر الجلادين في "لاظوغلي" وكل "لاظوغلي" مماثل لست أدري كيف أتخلص أو أنسى فزع الرعب القاتل في كل صفحة من صفحات تاريخ هذه الرقعة الجغرافية التاريخية وأنا أشهد قعقعة السلاح وفيض الدم وتآكل الأرض والإرادات والأرواح والعقول وهل يجد المرء منذ القرن الثاني عشر عقدا واحدا من السنوات لم تسقط فيه مدينة أو تقتطع مملكة أو تنهب أو تجفف ينابيع ثروة

حتى أصبحت جلودنا وأنفاسنا أشد تعينات وتجليات السجن والتعذيب بينما جماهير الأمة بالملايين يسوقون سوق الأغنام تحت الرايات والحقب والكلام الأجوف والفعل الدنيء سنة بعد سنة. فمنذ قديم وأنا أرى الوطن سجنا يعتصر بضيقه الضلوع وأحس التعذيب خبزا يوميا ضاعت في طعمه ملامح الجلادين والضحايا"[17].

ويرى "عفيفي مطر" من خلال نظرته القومية أن الأمة بذلك دولة مستقلة موحدة فتتعين حدود الوطن عندها بحدود الدولة القائمة. التي تجمع شمل الأمة بأجمعها تحت راية واحدة لا يختلف فيها أفراد الأمة في تقدير واجباتهم الأساسية نحو هذا الوطن العالم المشترك. وتهدف التربية وإعادة البناء السياسي في خطاب عفيفي مطر الشعري إلى الآتي: "تنظيم علاقات المجتمع وأنظمته السياسية والاقتصادية والاجتماعية على أسس ديمقراطية والديمقراطية ليست نظام حكم بل هي في حقيقة الأمر أسلوب في التعامل والتفكير والحياة فإنها تتطلب تربية لها أنماط خاصة في السلوك والعادات والمهارات وتنمية هذه الأنماط من السلوك والعادات والمهارات لا تتم إلا من خلال التربية"[18].

ثانيا: أسس النظام السياسي عند محمد عفيفي مطر:

من البديهي أن النظام السياسي جزء من النظام الاجتماعي ويشمل ذلك مؤسسات الدولة مثل الدستور وقضاياه والحكومة وهيئاتها وكذلك وظائفها الاقتصادية والاجتماعية هذا بالإضافة إلى الأشخاص القائمين على إدارة ذلك كله والموكلين بتنفيذه[19].

ولكل نظام سياسي بناء أساسي يتمثل في إطار دستور يوضع للبلاد، ويذهب محمد عفيفي مطر إلى أن الحقوق والحريات العامة التي يجب أن ينص عليها دستور البلاد لابد أن تشتمل على "حقوق سلبية" و "حقوق إيجابية".

أما الحقوق السلبية فهي التي يأتي النص عليها بأسلوب النفي أي بعدم جواز إخلال الدولة بها (مثل الحق في المساواة ، وحرية التعبير ، وحرية العقيدة، وحرية الصحافة ، والحق في التجمع وسائر ما يعرف بحقوق الإنسان المدنية والسياسية إلى جانب حق الملكية الخاصة وحق المبادرة الخاصة).

أما الحقوق الإيجابية فهي التي ينص الدستور على توفيرها وليس فقط على عدم جواز الإخلال بها وتتمثل هذه الحقوق عادة في عدد من حقوق الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مثل: الحق في العمل ، والتعليم ، والصحة ، والتأمينات الاجتماعية ، والإسكان ، والبيئة النظيفة....الخ[20].

ويرفض محمد عفيفي مطر نظام الحكم الشمولي الذي لا يقر بالتعددية ويلغي ذات الفرد حيث يعتبر الحرية والديمقراطية والمساواة من أهم الأسس لنظامنا السياسي كما يجب "أن يقوم نظام الحكم على مبادئ وأسس محددة الشورى بمفهومها الحقيقي والذي يتجلى في تعدد الأراء وقبول الصالح للأمة منها ، وكذلك الحرية والديمقراطية والمساواة وتعتبر تلك الأسس من الضرورات التي لابد من وجودها وتمتع الإنسان بها وممارسته لها كي يتحقق له المعنى الحقيقي للحياة"[21].

1- الشورى في خطاب مطر الشعري:

تعتبر الشورى من أعلى القيم الدستورية التي تساند بقاء النظام السياسي وتحقق الشورى أربعة أمور لنظام الحكم في الإسلام وهي[22] :

1. إشراك الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد في مزاولة السلطة والتفكير في قضايا الأمة مع الشخص الذي أنابته عنها.
2. منع استبداد الحاكم أو طغيانه.
3. تطيب نفوس المحكومين وتأليف قلوبهم بما يجمعها مع الحاكم برباط المودة والتعاون.

ويترتب على ممارسة الشورى لدى الحاكم والمحكومين الآتي:

تجنب الخطأ في اتخاذ القرارات

الشورى صورة حقيقية وسليمة من صور الحكم الديمقراطي وجوهر الديمقراطية هو إعلاء لصوت الشعب بأي صورة كانت بحيث يكون لكل فرد فيه حرية المشاركة في أحداث وعمليات المجتمع ومن ثم تكون الديمقراطية طريقة أو أسلوبا للحياة في المجتمع[23]

وإلى جانب ذلك فالشورى حكم إلهي في قوله تعالى:

﴿...وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ...﴾ [سورة الشورى:38] [24] فقد أصبحت الآن ضرورة ملحة وهامة في المجتمع.

والشورى (الديمقراطية بمعناها الحديث) أن تكون أهم مبدأ من مبادئ الدستور الذي يقوم عليه الحكم. والديمقراطية تجربة إنسانية يفرضها العقل البشري وتحتمها الأخلاق لتحافظ على كرامة الإنسان وقيمه[25].

والديمقراطية كتجربة إنسانية تحمي المجتمع ويستوعب المجتمع من خلالها التغييرات السياسية العالمية فالعوامل السياسية المتعلقة بنظام الحكم والسياسة التي ينتهجها المسئولون ويرونها مناسبة للوصول إلى غايتها تتأثر في أي مجتمع من المجتمعات بالتغييرات السياسية العالمية بل أن التغيرات السياسية العالمية تقود وتوجه في كثير من الأحيان الحياة السياسية في أي مجتمع خاصة إذا كان هذا المجتمع ينتمي إلى العالم الثالث[26].

وينظر عفيفي مطر إلى احتياجات الإنسان المصري والتي تتمثل في أكثر من القيم والمعارف والاتجاهات السياسية .....الخ ليتم تشكيله على أساسها تربويا حتى يمكنه القيام بواجباته والتمتع بحقوقه السياسية مثل حقه في التمتع بالحرية وحقه في المساواة وحقه في العدالة وفي الحماية وفي المحاكمة العادلة.

هـذا إلى جانـب حقـه في المشـاركة بكـل أنواعهـا كـذلك حقـه في التعليم[27] .....الخ. ويمكن تحقيق كل ذلـك مـن خـلال ديمقراطيـة حقيقيـة فالديمقراطية كتجربة إنسانية أثبتت جدارة وحقا في البقاء فقـد ظهـرت معهـا نظم كثيرة زالت أو هي في طريقها إلى الزوال مما قـد يؤكـد فكـرة الفليسـوف الإنجليزى "هوبرت سبنسر" (1820-1903) القائلة بـأن الصـراع مـن أجـل البقاء ليس قانونا ينطبق على الكائنات الحية أو في ميدان البيولوجيا فحسـب وإنما هو كذلك يصدق في ميدان النظم السياسية والاجتماعية بمعنـى أن كـثيرا من التجارب السياسية التي خاضتها البشـرية لم تثبـت كفاءتهـا ولا جـدارتها فأصبحت غير صالحة للبقاء وحتى وإن بقيت فلابـد أن تغلـف نفسـها باسـم الديمقراطية[28].

وغياب الديمقراطية كما يرى عفيفي مطر أدى إلى تدفق الأحكام العرفيـة من خلال تعطيل الدستور وباستمرار قانون الطوارئ الذى نال منـه وانتفـت معه الديمقراطية شكلا وموضوعا فغياب الديمقراطية غيّبه في قاع السجن دون ذنب اقترفه. إلا أن ذنبه الوحيـد أنـه أدلى برأيـه في مشـروعية ضـرب العـراق وتدميرها:

وهذا الليل يبدأ ،
تحت جفنيكَ البلادُ تكَوّمَتْ كرتيْن من ملح الصديدِ
الليلُ يبدأ
والشموسُ شَظيَّةُ البرق الذي يهوي إلى
عينيك من ملكوته العالي ،
فتصرخُ لا تُغاثُ بغير أن يَنْحَلَّ وجهُكَ جيفةً
تعلو روائحُها فتعرف أن هذا الليل يبدأ ،
لستَ تُحصي من دقائقه سوى عشرِ استغاثاتٍ

لفجرٍ ضائعٍ تعلو بهنَّ الريحُ جلجلةً .

"هذا الليل يبدأ" [29] احتفاليات المؤمياء....

حيث نلحظ أحاسيس القهر السياسي والظلم والغربة الشديدة للشاعر، فصار ألم الشاعر ببلاده التي ترمز للدفء والاحتواء والإنسانية انعدمت وانتهت (فتكومت بلاده تحت جفينه كرتين من ملح الصديد) فهذا ألم بالإنسانية جمعاء حيث يصرخ تحت آليات التعذيب فلا يغاث فيحوله التعذيب إلى "جيفة" بلا روح تزيد في عمق هذا الألم وتكون دليله على أن هذا الانتهاء الإنساني ليس إلا في بداياته (فتعرف أن هذا الليل يبدأ).

ويرى عفيفي مطر على ضوء ذلك أن غياب مبدأ الشورى (الديمقراطية) أدى بدوره إلى تغيب فلسفة تربوية ناجحة فيؤكد إنه لابد وأن تكون التربية في المجتمع المصري وأيضا مجتمعنا العربي قاعدة أساسية لمساعدة الأفراد بمختلف أعمارهم على ممارسة الديمقراطية حتى يمكنهم تنظيم حياتهم عن طريق أنظمة ديمقراطية سليمة ، ذلك لأن الديمقراطية كنظام وتجربة إنسانية لا يمكن أن تقوم إلا إذا توافرت في الأفراد صفات واتجاهات معينة فالنظام الديمقراطي يحتاج من الفرد إلى تكييف فكري واجتماعي في مستو عال على عكس النظام الديكتاتوري الذي يتخذ من الفرد وسيلة لتحقيق غايات الدولة أو قادتها وما على الفرد إلا اتباع الخطوات التي رسمت له بوحي من غيره[30].

فعلى صعيد مجتمعنا المصري ثمة تمييع للاستقرار السياسي كما نرى ضعف الحياة الحزبية وتلاشيها أمام الحزب الحاكم كذلك سيطرة النزعة العسكرية على إدارة النشاط السياسي والفهم الشكلي للديمقراطية مع ضعف قنوات التعبير أمام المواطنين وتغلف ذلك بصدور بعض القوانين المقيدة لحركة العمل السياسي وأيضا العمل الصحفي.

أما على صعيد المجتمع العربي فنجد أن قضية الديمقراطية في العالم العربي ترتبط بعدة عوامل متعددة يأتي في مقدمتها التراث الهائل للتجربة السياسية في التاريخ العربي الإسلامي مضافا إليه ذلك الركام الضخم من التقاليد الفكرية والمعتقدات الاجتماعية التي تشكل منها العالم العربي بدوله وكياناته الراهنة[31].

ومع أن الإسلام قد جعل من الشورى فلسفة للحكم الإسلامي ومنهج سياسة الرعية وطريق السلوك للفرد والأسرة والمجتمع فريضة إلهية وضرورة شرعية وليست مجرد "حق" من حقوق الإنسان "إنما ديمقراطية" الإسلام والمسلمين جعلها الله فلسفة الحكم في الإسلام وترك للأمة كامل الحق وكل الحرية في إبداع "النظم والتنظيمات والسبل والوسائل" التي تقترب بغايات الشورى ومقاصدها من الفعل والعطاء عندما توضع في الممارسة والتطبيق.

ورغم امتلاك الإسلام لنظرية الشورى قد مارس هو الآخر تأثيرا قويا في زهد عدد من النظم العربية خصوصا التقليدية منها في استقبالها لنموذج الديمقراطية الغربية والتي تتعثر في الدول المستقبلة لها وهنا لابد أن نؤكد أن الذي حدث في كثير من الأحيان هو أن هذه الدول لم تأخذ بجوهر نظرية الشورى وروحها كما قدمها الإسلام في الوقت الذي رفضت فيه تلك الدول أيضا النموذج الغربي للديمقراطية كما عرفتها أوربا الحديثة والعالم الجديد بعدها[32].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن عفيفي مطر قد أكد على ضرورة الشورى بمعناها الحديث (الديمقراطية) كمبدأ هام من المبادئ الدستورية التي يقوم عليها الحكم فهي وسيلة اشتراك الأمة في الحكم وللشعب الحق في اختيار حكامه وكذلك حق محاسبتهم وعزلهم طبقا للدستور من خلال المجالس النيابية التي أتت بشكل شرعي وبانتخابات حرة نزيهة.

2-الحرية في خطاب عفيفي مطر الشعري:

عبر تاريخ البشرية وفي مسيرتها الطويلة تظل الحكومات الصالحة التي جعلت الحرية شعارا حقيقيا في النظرية والتطبيق تظل تلك الحكومات قائمة وقد حفرت اسمها ووثقته في سجلات التاريخ. فلا تقاس الحكومة الصالحة إلا بمقدار ما يتمتع أفرادها من فضل الخلق والسلوك والتقدم العقلي العام أو بعبارة أخرى بمقدار ما تصطنعه من مواطنيها وما تصنعه بهم ولا يتأتي ذلك ما لم تفسح لكل فرد أوسع مدى لتنمية مواهبه وإذكاء ملكاته فإن حرية الفكر وحرية العمل هما أثمن ما تقدمه الحكومة لرعاياها[33].

وقد تعددت تعريفات الحرية فتعرف "بأنها الملكة الخاصة التي تميز الكائن الناطق من حيث هو موجود عاقل يصدر في أفعاله عن إرادته هو لا عن أية إرادة غريبة عنه"[34].

ويرى محمد عزيز الحبابي أنه لا حريات بل ولا كرامة للإنسان مادام يهدده الجوع والمرض أو يفني كل ساعاته في جهد جاهد من أجل الحصول على الضروريات المادية ، فالتحرر المادي أول مرحلة في سبيل التحرر الفكري والمعنوي ولا تحرير في الميدان الاقتصادي إلا عن طريق الشغل[35].

ويرى عثمان خليل أن الحرية هي "قدرة الفرد على ممارسة أعمال لا تضر الآخرين"[36]

وإذا كان الإنسان حرا طالما أنه يفكر[37]. وإذا كانت الحرية هبة من هبات العقل فإن على التربية أن تعد الطالب لممارسة الحرية من خلال تنمية التفكير لديه باستمرار من خلال إعمال العقل بطريقة مسئولة في علاقاته بالآخرين أو بالأشياء[38].

واستمرار الدعوة إلى الحرية وما يرتبط بها من حرية الفكر، حرية الصحافة ، والحرية الدينية ، حرية التعبير السياسي...الخ.

ويؤكد عفيفي مطر على حرية الإنسان العربي وتحريره من سلطة المجتمع الأبوي حتى يمكنه من تحقيق هويته القومية إذكاء لروح الحفاظ على استقلال وطنه وتقدمه والدفاع عن أراضيه واستعادة الأراضي العربية المحتلة[39].

محمد عفيفي مطر ومفهوم الحرية:

لقد بلغ تقديس الإسلام للحرية الإنسانية إلى الحد الذي جعل السبيل إلى إدراك وجود الذات الإلهية هو العقل الإنساني فحرر سبيل الإيمان من تأثير الخوارق والمعجزات المادية ومن سلطان النصوص والمأثورات بل ومن سيطرة الرسل والأنبياء.. فحجية النصوص المقدسة مترتبة على صدق الرسول الذي بشر بها.. وصدق الرسول مترتب على صدق وجود الذات الإلهية التي أرسلته وأوحت إليه هذه النصوص[40] هكذا نرى تقديس الإسلام للحرية الإنسانية التي هي من أهم أسس البنيان السياسي والاجتماعي. حيث يتطلب هذا البنيان السياسي والاجتماعي توفر مستوى من الوعي العام يرى مصلحة المجتمع بأسره مرتبطة بالحرية والمساواة السياسية[41].

ويشير محمد عفيفي مطر إلى أن الخطاب السياسي والاجتماعي هو خطاب وقائعي متغير يموت ما يموت فيه ويحيا ما يحيا باعتباره الوظيفة المتحركة والغاية الآنية المؤقتة ولذلك فهو جزئي ومرحلي وأهميته التاريخية دائمة الزوال كما أنه يستمد وعيه الأعمق وأفقه الأوسع بقدر تراسله وتواصله مع الخطاب الشعري الذي هو نداء ما يبقى[42].

والحرية عند مطر تعني: "أنها السبيل إلى تحديث وتطوير المجتمع وتنميته في كافة المجالات ففقد الحرية يعني التخلف وعدم القدرة على مواجهة الصعاب فالحرية هي القدرة على تخطي العقبات وتجاوز الصعاب ، والقدرة العقلية هي وليدة التحرر من قيود الخرافات والوهم والجهل وتلك القدرة

تطهر الإنسان من أنانيته وأهوائه وتكبل غيرته حيث يتم تأهيل أفراد المجتمع للحريات السياسية والاقتصادية ويتمكن الفرد من الدفاع عن حريته"[43].

كما يؤكد عفيفي مطر على أن الحرية التي تنطلق من جميع القيود غير مقبولة. وهذا ما يطرحه العقاد إذ يقول: "وليس في العقل شيء يسمى حرية مطبوعة تعلو على الحرية المخلوقة بالانطلاق من جميع القيود. لأن الانطلاق من جميع القيود غير معقول وغير موجود"[44].

مظاهر الحرية عند عفيفي مطر:

تتعدد مظاهر الحرية عند عفيفي ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1- حرية التعبير عن الرأي.
2- حرية المعارضة السياسية.
3- حرية الاعتقاد.
4- حرية التعليم.
5- حرية الإبداع.

أ-حرية التعبير عن الرأي:

من طبيعة الديكتاتورية أنها تكبل الحريات ومن بينها حرية التعبير عن الرأي كما أنها تزيد إلزام الأدباء بمضامين واتجاهات تتفق وسياسة الديكتاتور والأدب الإنساني الراقي لا يمكن أن يعيش تحت ظل الإلزام والكبت لأنه بذلك يتحول إلى بوق للدعاية السياسية ومن ثم يفقد دوره التربوي والإنساني وقد يقبل الأديب مبدأ الالتزام في ظل النظام الديمقراطي ذلك لأن الالتزام نابع من داخله ومن قناعته الشخصية أما الإلزام فيفرض عليه من الخارج في ظل النظام الديكتاتوري.

ويترتب على كبت حرية التعبير عن الرأي ضرر خاص هو سلب الجنس البشري بأكمله من الأسلاف حتى الجيل الحاضر من تلك الحرية سواء

في ذلك الذين ينشقون على الرأي العام أو الذين يلتزمون به فإن كان ذلك الرأي صائبا فهم قد حرموا من فرصة يستبدلون فيها الباطل بالحق وإذا كان خاطئا فإن الناس سيحرمون من فرصة لا تقل عن سابقها قيمة هي فرصة الازدياد من التعرف على الحق بشكل واضح حيوي نتج عن مقارنته بالخطأ[45].

والطائر رمز الحرية على مر التاريخ لكن هذا الطائر الذي وهبه الله نعمة الحرية والانطلاق يقابل بالقيود والكبت فتثقله تلك القيود ويصعب عليه التمتع بحريته وهو بذلك رمز مقابل حرية التعبير عن الرأي لدى الإنسان .. يقول عفيفي مطر:

ونسرُ الفضاءِ الشاسع يهمُّ بالطيران في
غموض الزرقة وكثافة الليل المثقَّبِ بالمصابيح
فتُثقِله قتامةُ الزنك وبرودةُ القصدير اللانهائي
والشاعرُ يستجلي حمأ الصرخة المضيئة
ومقام القصيدة بين الماء والطين.

"من قصيدة: زجر الطير" [46] أنت واحدها....

فعلى خارطة الفضاء الفسيح ثمة نسر كبير هذا النسر معادل للإنسان "يهم" بالطيران (حرية المشاركة) بينما يكون لون السماء داكن الزرقة ليس صفوا وليس مريحا (القيود ـ الكبت) إنه أشبه باللون الصناعي الأزرق الذي تطلى به المصابيح أيام الحروب لكنه في حد ذاته يتضمن الهروب من المواجهة... القيود/الكبت ـ الحرية حرية القول والتعبير الهروب من أن يرى "العدو" أماكن الضوء والناس "الحرية عدوة الديكتاتورية" إن الليل هنا شبه صناعي فالنجوم هي مصابيح تثقبه والثقب فعل عنيف يفيد الاختراق

والاغتصاب والفعل القسري وحركة التأهب للطيران لدى النسر توقفها. قتامة الزنك "وبرودة القصدير".

إن نسر الفضاء الذي يهم بالطيران ويواجهه الشاعر هنا يوشك على التكوين والإبداع والفصل فيما بين الماء والطين (المادتين الأساسيتين للخلق) فالشاعر هنا مثل ذلك النسر "يستجلي" ظمأ الصرخة يبحث عنها ويمهد لها ويستوضحها لكنه لا يطلقها مثل النسر الذي "يهم" بالطيران إنها قوة كامنة للحركة وللحرية وللخلق وقوة مضادة أكبر منها تظهر مظاهرها على وجوه كثيرة.

فالحرية في التعبير عن الرأي إحدى مظاهر الحرية التي هي المقدرة على التطور كما قلت وقهر الظروف ، وتأتي حرية التعبير عن الرأي من الأمور العامة لتطور المجتمع من كافة النواحي "فحرية الوجود القومي شرط لحرية التطور وحرية المعرفة شرط لحرية الرأي وحرية الرأي شرط العمل"[47].

وبهذا تكون حرية الرأي مرتبطة بحرية التعبير إذ يكون لكل إنسان الحق في التعبير عن رأيه بالوسيلة المناسبة وهذا الحق يتضمن اعتناق رأي معين وحرية تلقي الأفكار والمعلومات وإذاعتها بالوسائل المختلفة[48].

ويرى عفيفي مطر على ضوء ما سبق أن حرية الرأي يجب أن تكون مكفولة للجميع وإنه ليس من حق أحد أن يسلب الآخرين حرية الرأي وحرية التعبير سواء بالكتابة أو بالانتخاب أو بالخطابة أو بالمظاهرات السلمية على أن يراعى فيها مصلحة الأمة والصالح العام. فلا يتم تحقيق تلك الحرية إلا في ظل ديمقراطية وحياة نيابية سليمة[49].

وهذه الديمقراطية التي ينشدها عفيفي مطر ديمقراطية تدعم حرية التعبير عن الرأي ليست تقليدا لنماذج مطبقة أو قرارا مؤقتا لسلطة متنفذة اجتماعيا أو إملاء خارجيا لجهات أو مراكز قرار مهيمنة على المستوى الدولي وإنما هي

ثقافة بالمعنى "السوسيوأنثروبولوجي" لمفهوم الثقافة إنها منظومة متكاملة من القيم والرموز والمعايير والاتجاهات والمواقف والتصورات ورؤى العالم يستلزم بناؤها ضرورة استنباتها ذاتيا أي جعلها ضمن سيرورة ممنهجة إرادية قصدية مخططة وهادفة من التربية والتعليم والتكوين والتنشئة السياسية والثقافية والاجتماعية تنبثق من خلال خصوصيات الذات[50]

ب- حرية المعارضة السياسية:

يرى محمد عفيفي مطر أن حرية المعارضة السياسية يجب أن تكون مصانة لجميع أفراد الشعب المؤهلين لتلك المعارضة فالمعارضة السياسية تثري الحياة العامة وتنبه إلى مواطن الفساد والعجز وتؤكد على استمرار الحرية وتدعم الديمقراطية الصحيحة.

ولن يتحقق ذلك إلا بالانتقال الديمقراطي في مجتمعاتنا العربية ومجتمعنا المصري الذي لابد أن تكون الديمقراطية فيه ممارسة وتطبيقا فعليين والانتقال الديمقراطي يمكن أن يتم توسيع متزايد لهوامش الحريات واحترام حقوق الإنسان الفردية منها والجماعية وعن تعميق لقيم ومقومات المناخ الديمقراطي السليم شكلا ومحتوى ونظريا وممارسة يلاحظ اشتداد حده بعض أوضاع وأساليب القمع والاقصاء والتهميش والحرمان من الكثير من فرص الاستفادة المتكافئة المادية منها والرمزية[51].

ويلحظ عفيفي مطر المسار التاريخي الحضاري لوضع المشاركة والمعارضة السياسية ودوره فيه ونصيبه منه حيث لم يتعد مصيره في النهاية أن يكون مصيرا منبوذا بلا حماية ولا مجد ولا حتى احترام لأدميته التي أصبحت مباحة أو لجسده الذي أصبح وليمة للطير ووحش الصحراء:

لكم مجدُ الإغارات وأسلابُ التواريخِ ..
وَوَحْدي .. ليس لي درعٌ ولا مجدُ

سوى عُرْي الوليمةْ
في عَراء الرمل والفَصْحى .. وهل غيرُ العَرَاءْ
منبرًا في ضَحْوَة العيد وأسماطَ بلاغٍ وثريدْ!!

من قصيدة "اكتمل ذبيحا"[52] "ديوان فاصلة إيقاعات النمل"

والعري هنا ليس سوى عري جسده بينما الوليمة هي هذا الجسد الذي أصبح مباحا وهو بقوة المفارقة الأليمة خاصة أن هذا التاريخ لم ينجز إلا بفضل تضحياته:

وهل هذا الثرى في هَدأةِ الوديان
إلا خطوتي في الموت أحقابًا
وهذي الريحُ في أشرعة البحر سوى نفْخة أرْغولي ،
وهذا الصخرُ إلا أعظُمي ؟!

من قصيدة "اكتمل ذبيحا"[53].

هنا يتحدث الشاعر مع إنسان هذه الأمة المضيع المحروم من كافة حقوق المشاركة السياسية المبنية على كفالة حقوق الجميع ذلك الإنسان الذي دفع ثمن المجد من دمه وقاسى ويلاته على جلده بينما لم يبق له إلا القمع والعري ، والشاعر بذلك يطرح نفسه ككائن تاريخي يتجاوز في تمثيله على مستوى الموقف ذاته الخاصة ليصبح جميع من ضحوا ليتكون التاريخ على هذا الشاكلة.

فالتراب الذي يستكين في الوديان ما هو إلا خطواته الشهيدة كذلك الريح والصخر إنه جزء أصيل من كيان هذه الأمة ومتجذر في مفردات وجودها المادي والروحي ومن هنا تنفجر المفارقة من خلال هذا التناقض بين الكينونة الفاعلة الإيجابية الأصيلة تاريخيا وبين هذه النتيجة التي يمثل النفي والقمع والنبذ ملامحها القاسية[54].

جـ-حرية الاعتقاد:

يرى محمد عفيفي مطر أن حرية الاعتقاد لابد أن تكون مكفولة لكل المواطنين على أرض مصر وأن تتاح حرية اعتناق الدين لكل فرد أو المبدأ الذي يراه مناسبا له وأن يمارس طقوس دينه في حرية دون الإخلال بحرية ممارسة الأديان الأخرى للآخرين[55].

وقد أكد القرآن الكريم على حرية الاعتقاد واعتبرها حقا من حقوق الإنسان ذلك أن الله خلق الإنسان وزوده بالعقل والقدرة على التمييز وأبان له السبل ثم ترك له حرية الاختيار فلا قهر ولا إرغام بل عرض لحقائق الإسلام وبذلك يستطيع أي إنسان مميز غير مكره أن يختار الإسلام دينا أو أن يختار دينا غيره أو أن يكفر بكل الأديان على مسئوليته في الدنيا والآخرة متحملا تبعة ما يختار[56].

والحرية الدينية لا تعطي للفرد الحق في الإخلال بالنظام العام للمجتمع والخروج عليه بحجة أنه يتعارض مع ما يعتقد فالمجتمع الواحد تتعدد فيه الأديان والأفكار والرغبات والمقدرة على العمل وهذا يتطلب حرية كل فرد في اختيار النظام الذي يرتضيه ، أي تعدد الأنظمة ، ولكن وحدة المجتمع تتطلب وحدة النظام وهي متمثلة في قاعدة أو مجموعة من قواعد النظام ذاته وقواعد النظام العام ملزمة لكافة المواطنين[57].

كما يؤكد عفيفي مطر على ضرورة فتح باب الاجتهاد مع إعلاء قيمة حرية العقل الإنساني ، والاجتهاد هنا لابد أن يكون لصالح المسلمين لإعلاء دينهم وفتح الطرق أمامهم لتحقيق حضارة إنسانية قادرة على استيعاب العالم وتجاوز أشكال الجمود التي تعرقل تقدم الأمة ، وفي ذلك يقول عفيفي مطر: "كان قلبي معلقا بين مخالب طائر جارح محموم بالسياحات في الأعالي علوه فزع ورعب وانطلاقاته كارثة احتمالات ومناوشاته لعب فوضوي بين الأمل

والموت وكلما حط ليستريح نقرته الدهشة بزياراتها المباغتة وانفتحت مسالك الأفق أمام المعرفة المرة والغربة الفسيحة"[58].

كما أن الأخذ بالأسباب ذات القواعد والأصول والعمل على النظر والتأمل لإحقاق الحق وهذا ما يطرحه محمد عماره في قوله: "والمطلوب من المسلم في "شئون الدين" فضلا عن "الدنيا" ليس مجرد التلقي وإنما "الفقه" الذي يصل بالعقل إلى الأعماق متجاوزا ظواهر النصوص والبادي من المأثورات فهذا "الفقه والتفقه" بالنسبه لأهله فريضة عينية متعينة وبالنسبه للأمة: فرضية اجتماعية كفائية فرضها الله سبحانه وتعالى على أمة الإسلام[59].

يقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [سورة التوبة:122][60].

وحرية التدين كما يراها عفيفي مطر تمقت عبادة الحاكم ولا تدخل تلك العبادة في مضمون تلك الحرية بل إنه ينتقدها ويعتبرها خيانة بل وشركا:

وأنا أنظر زيفَ الشعراء
كلَّما ضجّوا تدلَّوْا فى طريق المجزرة
فانتظر حتى تراهم يسكتون
وتكلَّم كلمةً مقتدرة
فإذا هم حول أبوابك يستعطونَك اللقمةَ ،
يبنون من الشعر توابيتًا ومن
زيف القوافي مقبرة
وانتظر حتى ترى الشعب المخادع

كلما أغرق فى الضحْك تدلى رأسه الفارغُ بين الكتفين
وترى الأرض اللعينة فرغتْ من ساكنيها .

من قصيدة: "تصادم أقدار"[61] (ديوان الأرض والدم).

وعندما يصل الأمر إلى حد تأليه الحاكم وعبادته فإن الشعب يصبح فارغ الذهن غارقا في الخداع ، ينتظر أفراده عطية الحاكم التى يجود بها عليهم، وفي هذا خلل يؤدي إلى تأليه الحاكم ، وهذا الخلل ناتج بشكل مباشر عن افتقاد القدرة على التمييز بين شخصية الحاكم المطلق وبين مفهوم مواجهته.

ويؤكد عفيفي مطر على ضرورة تجذير تربية رافضة للمجتمع الطبقي الأبوي وضرورة تفكيكه متجاوزة عن الروح الاستهلاكية العدمية وعن الذهنية الأصولية الجامدة وعن روح النقد المقموعة عن التعليم والإعلام عن علاقاتنا بالحركة العالمية المناهضة للامبريالية والصهيونية والقوى الجديدة التى تساند قضايا تحررنا وتسعى لمعاونتنا حتى ننهض من كبوتنا ونحن لا نفتأ نخذلها بأشكال استجابتنا المتدنية والبطيئة للتحديات الكبرى ، باستكانتنا للطغيان وتعايشنا مع مؤسسات فاسدة وبيروقراطية غير صالحة للحياة ونظم حكم انتهى عمرها الافتراضي[62]

د- حرية التعليم:

يمثل التعليم في المجتمعات علامة فارقة بين معايير التقدم والتخلف فالتعليم يفتح ثقبا في جدار التخلف والجهالة وبالتعليم يستطيع المرء أن يقول ما يريد لمن يريد. وبالتعليم تتقدم الأمم وترتقي ، والتعليم أثر من أثار الحرية، فالشعب الحر شعب متعلم يفرق بين حقوقه وواجباته ، يعرف ما له أمام الأمة وما عليه، ويعتبر التعليم سمة من سمات التطور وبخاصة في العقود الأخيرة من تاريخ شعبنا المصري.

إلا أن التعليم بوضعه الحالي يدخل إلى نفق مظلم حيث تتجلى منظومة هدم مجانيته بمظهر متعددة منها:

- ✓ ارتفاع رسوم القيد.
- ✓ تقليص حجم المجانية فيه.
- ✓ سوء إدارة المنظومة التعليمية.
- ✓ انعدام الفلسفة التربوية الموجهة له.

ويؤكد عفيفي مطر أن التعليم حق لكل فرد مثل "الماء والهواء" مثلما نادى بذلك طه حسين في السابق[63] وترك الحرية لأفراد المجتمع لأن يختاروا ما يرونه مناسبا لهم من أشكال التعليم المختلفة وعلى ذلك يربط عفيفي مطر بين تقدم الأمة ومجانية التعليم الصحيحة والتي لابد أن تبدأ المجانية من المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الجامعية.

والملاحظ أن الخطاب السياسي هو الذي يحدد أولويات التعلم وتحديد فلسفة التربية وقد مر الخطاب السياسي في كثير من المراحل بأهداف متعددة ومغايرة وذلك تبعا للمراحل التي يمر بها المجتمع فتارة يكون معاديا للاستعمار ولإسرائيل وتارة أخرى مؤيدا للسلام مع إسرائيل ومحبا للتحرر والتقدم. وتارة يدعو إلى الالتزام بمبادئ الدين الإسلامي وتارة يرفض المبادئ التي أقرها في المرحلة السابقة ويدعو إلى مبادئ جديدة بحجة أنها لم تعد تتناسب مع المرحلة الراهنة وتارة يدعو إلى وضع خطة للمؤسسة التربوية وتارة أخرى يتخلى عنها ثم يدعو إلى نبذ التدرج في طلب العلم وتحصيله[64] وينعكس ذلك بالطبع على التعليم ومن ثم المتعلم.

ويربط عفيفي مطر بين حرية التعليم كفاعل يقود إلى الحرية. ذلك الفاعل يحرك الوعي ويكشف على التصورات المبدعة:

قلت للنهر:
اتخذني لك فرشًا ووسادة
واتخذني ـ حينما تجرحك الشمس ـ ضمادة
ثم علِّمني طقوسَ السر ، علِّمني تراتيل العبادة
قلت للنهر ، ولكن المدينة
حاصرت صوتي حورا وصدى..

"عن الحسن بن الهيثم" من (الصوت المحاصر)[65] ديوان الأرض والدم.

يلاحظ هذا الحصار للشاعر الذي يطلب من النهر أن يعلمه "طقوس السر" ، "وتراتيل العبادة" رغم حصار صوته "حوار وصدى" نجد هذا الغياب الواسع لحق الإنسان في أن يتعلم وأن تكون حريته مملوكة له حيث تنمو قيم العنف والتعصب والتعرض بصورة متنامية لأشكال الاضطهاد والتمييز والتسلط (محنة الحسن بن الهيثم مع الحاكم بأمر الله). مختلف ألوان القهر والمكابدة من غياب الحريات العامة فالإنسان محروم من حرية إبداء رأيه والتعبير في شئون مجتمعه ووطنه وأمته وهو مغلول عن المشاركة في تقرير مصيره ومصير بلده ومكبل بقيود القهر والخوف والحاجة[66].

ويترتب على انعدام حرية التعليم التي يجب أن تتاح لكل إنسان في المجتمع أمور نفسية وقد حددها محمود شمال حسن فى نقطتين هامتين تشير أن إلى مفهوم الاغتراب والقهر نتيجة معاناة الخطاب التربوي في مجتمعنا من العجز والضعف[67]:

أ- الإحساس بالاغتراب عن المجتمع:

حيث ثمة معاناة يتعرض لها المتعلم من مجرد السعي الحثيث لاكتساب المعرفة دون معرفة ما ينبغي فعله في مرحلة ما بعد انتهاء (التعليم المؤسس) ويؤدي ذلك إلى الإحساس بالمرارة والألم وهنا يقول عفيفي مطر:

الحاكم:

أيها الضيف .. انتصب.. قل لي.. أتدري لغة النهر؟!

الحسن:

أجل .. أعرف ما ينطقه الماءُ وما تكتمه الأرض الحزينة

والأغاني المطفأة

والرياح المرجأة

وأصمُّ الأذن عما هو كائن

وأرى في كل شيء قائمٍ غربةَ ما سوف يكون.

عن: الحسن بن الهيثم "تصادم أقدار"[68].

ب- تنمية الإحساس بالقهر.

فالمجتمع المأزوم يعمد إلى تنمية نموذج من البشر يطلق عليه "نموذج" (الإنسان المقهور) حيث يعاني هذا النموذج من العنين والظلم وامتهان الإرادة والتمايز الاجتماعي، حيث يشيع أثر قهر النظام السياسى واستبداده وعدم تقدير واحترام إنسانية الفرد وصعوبة تحصيل الرزق وندرة الموارد وعدم كفايتها وهيمنة القوة والنفوذ فى العلاقات بين الأفراد، ومن هنا يبرز الخطاب التربوي في تكريس القهر ولكن بطريقة غير مباشرة إذ أخذ من جانبه هيمنة الخطاب السياسي عليه بتسويغ القهر الذي يتعرض له الأفراد. يقول عفيفى مطر:

أيها النهر الخئون

أنا بين الرمح والحائط منصوبٌ مقيَّد

جائعٌ منك إلى كسرةِ طميٍ وأمومة

ظامىءٌ منك إليك

ربما أقوى على الحلم الرهيب المتجدد

بانفتاح اليأس والأرض القديمة
أو فراري من ظلام السجن مستورًا
على وجهي قناعٌ من جنون.

عن: الحسن بن الهيثم "خيانة النهر"[69].

وبانعدام حرية أن يكون الناس كما يختارون يكون الجنون هو الملجأ لهم نتيجة لقهر تم تكريسه وصار سمة غالبة تطال العقول الحاكمة بحرية أوسع وأشمل تضيف عليهم طابع الأمان وحرية تعليم مضمونة لكل فرد يعيش تحت سماء هذا الوطن.

وتشمل حقوق الإنسان حق وحرية التعليم لجميع المواطنين دون تمييز بينهم لكي ينتفع كل فرد في المجتمع بالإنتاج الثقافي وتنفتح آفاقه ويقوم بدوره كمواطن على أحسن وجه مسهما بذلك في تطور بلاده والبشرية جمعاء[70].

هـ-حرية الإبداع عند عفيفي مطر:

تعتبر حرية الإبداع حقا من الحقوق الأساسية للإنسان في المجتمع فحياة الإنسان في مجتمعه لا تستقيم من دون حقوق تضمن له الأمن والطمأنينة والحرية وهي الشروط التي يقوم عليها سلوكه في المجتمع وطاقته في الإنتاج والتفكير والإبداع[71].

وترتبط حرية الإبداع بما يحيطها من مسميات مثل المحرمات الثقافية. وهذه المحرمات من شأنها أن تقتل العقل الناقد الذي هو أساس العقل المبدع والعلاقة بين المحرمات الثقافية والعقل الناقد المبدع علاقة عكسية فكلما ازدادت المحرمات قل النقد والإبداع وسيطر التخلف[72].

كما أن هناك فرق بين حرية الابداع والفوضى الفكرية يوضحها مراد وهبه كالآتي[73]:

- ✓ لإبداع في حقيقته وجوهره منوط بتأسيس علاقات جديدة تجسيدها في الواقع يفرض عليه أمرا جديدا يدفع إلى تقدم البشرية والأمثلة على إبداعات البشرية من هذا النوع عديدة.
- ✓ أما الفوضى الفكرية: فسمتها الوحيدة أنها عاجزة عن تغيير الواقع ولهذا فالعلاقة بين الفوضى والتغيير علاقة عكسية أي أنه كلما أبدع الإنسان قلت الفوضى الفكرية وكلما قل الإبداع كثرت الفوضى الفكرية.

ولأن الإبداع لا يمكن أن يختزل إلى صناعية أو حرفية لأن الإبداع هو القدرة على ابتكار النمط وإحيائه واكتشاف طاقاته المتعددة وتفجيرها ومن ثم فإن فارقا واضحا بين الإبداع والتعبير إذ يتميز الأول بتزامن التصوير والإنجاز مولدا نموذجا يتمتع بالطزاجة والتفرد على حين يكرس الثاني وسائله التقنية لإعادة إنتاج نموذج متصور قبليا[74]. ولا يمكن أن يتم الإبداع المتفرد والمنجز إلا من خلال حرية يتمتع بها المبدع والإبداع لا يقتصر على الأدب فقط بل يمتد ليشمل كافة نواحي الحياة وشتى العلوم والمعارف.

ويصل الإبداع في خطاب عفيفي مطر الشعري إلى حرية طرح سمة النقد والرفض للواقع السائد المتخلف والمأزوم المستسلم والتطلع بل الدعوة إلى تجاوزه وحرية إبداع واقع آخر لتخطي هذا الواقع الذي يرمي بكل ظلاله في أرجاء المجتمع وتطرح قصيدة "استعداء" نموذج لأن يتمتع الإنسان بحرية الإبداع بما في ذلك نقد الوضع الراهن ومحاولة إحلال البديل:

أصرخ في المدينة المستسلمة
لعلها تبصق ساكينها
أدور في الساحات والشوارع
أنفخ في الحفائظ المرّةِ والضغائن
لعلها تدفع من بينها

فتًى يرحمني من جسدي الجوّال
بين السؤال والسؤال .
أضحك في مآتم المدينة
مستعديًا تاريخها الوالغَ في الدماء
مكذِّبًا مناقبَ الموتى ورافضًا مدامع الأحياء .
أصرخ في المدينة الملعونة
لعلها تُخرج رأسها من معطف الترقُّبِ المهزوم
لعلها تقوم
وتشرئبّ كي تأكلني
حتى يجيئها سيفٌ مغامرٌ بضربة في الرقبة
يُطيح بالرأس
أراكِ يا مدينتي أضحيةً تنتظر السكين.

قصيدة "استعداء"[75] من ديوان (الأرض والدم).

وحرية الإبداع بذلك تكون قدرة للعقل على اكتشاف علاقات جديدة استنادا إلى عقل ناقد يسمح باستحداث تغيير في الطبيعة وما يحيط بنا ، ومعنى ذلك أن الإبداع ليس مجرد عملية عقلية وإنما هو عملية عقلية لابد أن تنتهي إلى إحداث تغيير في الواقع وإذا لم يحدث هذا التغيير في الواقع فلا يمكن أن يقال بأن هناك إبداعا ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بكفالة حرية الإبداع لكافة المواطنين.

3- المساواة في خطاب عفيفي مطر الشعري:

ترتبط المساواة ارتباطا وثيقا بترسيخ قواعد العدل في الحياة سواء أمام القانون أو في الضرورات الأساسية للإنسان كذلك بين المسلمين وغير المسلمين. والمساواة هي الضمانة الأساسية لتحقيق العدل فلا يمكن تحقيق

obeikandl.com

العدل بغير احترام قاعدة المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات فلا تفضيل بين الناس بسبب امتيازات اجتماعية أو قبلية أو اقتصادية أو عسكرية أو دينية وإنما الجميع أمام الله سواء[76].

ويتطلب ذلك النظر إلى المجتمع نظرة عادلة وعلى الحاكم/ولي الأمر أن يقيم السلطة العادلة وأن يوفر لها كافة الضمانات التشريعية الكفيلة بحيدتها واستقلالها وسر شرعية العدل تكمن في أنه يقضي بالتساوي بين الآمر والمأمور في القضاء ويعمل على إيصال الحق إلى صاحبه من أقرب طريق ، أي أن العدل فى جوهره يقوم على المساواة بين الأفراد في المعاملة وعدم التمييز تبعا لمصلحة شخصية أو منفعة ذاتية[77].

وينطلق عفيفي مطر في طرحه لمسألة المساواة إلى الاستناد إلى قاعدة العدل ، حيث يربط بين استتباب الحكم والأمور وتطبيق العدالة بين الناس ، فينبغى أن يعم العدل بين أفراد المجتمع المصري فالعدل يحمي السلام ويحققه ويدفعه إلى الاستتباب وتوطينه ، والعدل فريضة إلهية وإنسانية وهي لا تقتصر على المسلمين فقط وإنما تجاه المسلمين والكفار والأصدقاء والأعداء[78].

ويؤكد القرآن الكريم ذلك بقول الله تعالى: ﴿... وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ...﴾ [سورة النساء:58] [79] والمتأمل الآية الكريمة يجد أنها تخاطب الناس جميعا وليست فئة محددة منهم وهذا يدل على شمول القاعدة الجميع.

أ- المساواة أمام القانون:

تعني أن القانون واحد بالنسبة لكافة المواطنين دون تمييز بين الأفراد والطبقات وذلك من حيث خضوعها للقانون كما تشمل المساواة القانونية عدة حقوق هي: المساواة أمام القانون ، أمام القضاء ، المساواة في وظائف الدولة كذلك المساواة في تنفيذ وتحصيل الضرائب[80].

وانحسار العدل والتمييز في تطبيق القانون بين الناس فإن ذلك: يؤجج نار الفتنة بين الطبقات في المجتمع ويثير ذلك القلاقل والضغائن ويتم تحكيم الأهواء في كافة الأمور وهذا ما يؤكده محمد عماره بقوله: "تخلف العدل يلغي شرعية السلام المفترض بين الطبقات الاجتماعية لأن هذا السلام رهن بتكامل هذه الطبقات في تحقيق الضرورات الواجبة لسائر أعضاء الجسد الاجتماعي"[81].

ويربط عفيفي مطر بين الانحراف في تحقيق العدل بين الناس والسلطة الحاكمة إلى سيادة النظم الاستبدادية التي تفرض على المجتمعات ، فالدولة الاستبدادية دولة مغلقة لا يوجهها الفنان أو الأديب أو جمهورها وإنما توجهها الحكومة في شئون الأدب والفن وغيره من السلع الاستهلاكية حيث أنها تعتبر أن الفنون والآداب سلعا استهلاكية في ظل النظم الشمولية تنتهي قيمتها الفنية عند توصيل مضمونها الفكري إلى الجماهير .. يقول عفيفي مطر:

كان المماليكُ العتاةُ الأقدمون الحدَثون
يَتَنَزَّلون خلائفًا من هَيلمان الجوع والفوضى ،
وفي أفق المدينة
نافورةٌ تعلو وتَنْفَسِحُ امتداداتُ الهواجسِ في
انتشار رمادها في الريحِ
والأجواءُ تَبْرُقُ

من قصيدة: "إيقاعات الوقائع الخنومية"[82].

ب-المساواة ومبدأ تكافؤ الفرص:

ويؤكد عفيفي مطر أن تتاح كافة الفرص بالتساوي بين أفراد المجتمع في كل شيء سياسا واقتصاديا واجتماعيا وقانونيا[83]....الخ. ويقول محمد

عماره[84]: "المنطلق والإطار هو وجوب العدل السياسي والقانوني والاجتماعي كفريضة (إلهية ـ إنسانية) لا النظر إليه كمجرد حق من الحقوق".

ويرى عفيفي مطر أن الشعر يقاوم الاستبداد ويؤصل المساواة تحقيقا لمبدأ تكافؤ الفرص وبذلك يسعى الشعر إلى تربية الإنسان من الناحية السياسية ليقف ندا أمام الاستبداد فالمستبد يرتعد من الشعر ومن علوم الحياة[85] ومن أخبار الحكومات المدينة فيما يقول الكواكبي الذى يلح على ما تقوم به العلوم في مقاومة الاستبداد خصوصا الحكمة النظرية والفلسفة العقلية وحقوق الأمم والسياسة المدينة والتاريخ والخطابة الأدبية وغيرها من العلوم الممزقة للغيوم "إن المستبد لا يخاف من العلوم كلها بل من التي توسع العقول وتعرف الإنسان ما هو الإنسان وما حقوقه وهل هو معتوق؟ وكيف الطلب؟ وكيف النوال؟[86] يقول عفيفي مطر:

هل كلُّ مجدكِ يا خنومْ
هذي الدُّمَى الفخّارُ تذْروها الهشاشةُ في
رياح السجن والتعذيب من جيل لجيلْ
حشدًا يُكسِّر بعضُه بعضًا فلا يبقى سوى
دَمَن الوجوهِ ورَهْزَةِ الغوغاءِ والأممِ الطلولْ !!
حدَّقْتُ في وسخ الزجاج فروَّعَتْني نظرةُ "الشخص" المحدِّقِ ،
عنكبوتٌ ملهمٌ في الركن يبني ثم يهدمُ
في انتظار الصَّيد.

من "إيقاعات الوقائع الخنومية"[87].

حيث تبدو في الأبيات السابقة استراتيجية مناوئة السلطة والضغط باتجاه فضح أساليبها وتعرية آلياتها وأبنيتها والدعوة إلى عالم ينتفي فيه التمييز بين الناس توطئة لسيادة مبدأ تكافؤ الفرص والمساواة الحقة.

جـ-المساواة بين المسلمين وغيرهم:

دعا الإسلام إلى المساواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات وأحق قتال غير المسلمين الذين يعتدون على المسلمين غير أن لهم كافة الحقوق في حالة معيشتهم في ديار المسلمين.

ويقول محمد عماره[88]: في مسألة المواطنة أنها "تعني المساواة بين أبناء الوطن الواحد ، والمساواة كاملة في حقوق المواطنة حق من حقوق الله وليس حق من حقوق الإنسان" لأن الله سبحانه وتعالى بحكم خلقه للبشر بصرف النظر عن ديانتهم لابد وأن تكون لهم كامل المساواة في حقوق المواطنة ، كما يؤكد محمد عماره[89]: "إن الإسلام نظر إلى العدل باعتباره "الميزان" الذي أمر الله سبحانه وتعالى الكافة أن يقيموه في الكافة وللكافة: الرسول ، الأمة ، المؤمنين ، الكافرين.... الأصدقاء والأعداء فـ "العدل" هو "الميزان" الذي أنزله الله سبحانه مع الكتاب لتستقيم شئون الإنسان.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ ...﴾ [سورة الشورى:17] [90].

ويؤكد محمد عفيفي مطر أن الحرية مكفولة لأهل الذمة باعتبارهم أصحاب كتاب وأن العدل الاجتماعي معهم واجب حتمي تفرضه الضرورة والبعد عنه يلغي شرعية الأمن والسلام المفترض أن يسود بين الطبقات[91].

ويؤكد محمد عابد الجابري[92]: "أن الحرية التي فرضت على أهل "الذمة" معيارها الاختلاف في العقيدة الدينية فأهل الذمة هم أهل الكتاب الذي احتفظ لهم الإسلام بحقهم في البقاء على دينهم عربا كانوا أو غير عرب فلقد اعتبروا بموجب معاهدات الصلح "أهل ذمة" أي تحت سلطة الدولة ، وبما أنهم لم يكن يطلب منهم أن يساهموا إلا بالمال لا الرجال في الحروب التي كانت تخوضها دولة الإسلام ، وكان المسلمون يساهمون بأموالهم وأنفسهم لذلك فرضت الجزية على أهل الكتاب في مقابل إعفائهم من ذلك وتوفير الدولة لهم الأمن والحماية".

وترتبط علاقة محمد عفيفي مطر بالوطن على أن للمواطن حقوقا سياسية[93]. بمعنى أن يكون له الحق في الإسهام طبقا للدستور والقانون في ممارسة السلطة العامة في بلدة ، ويعتبر وعي الإنسان بأنه مواطن في بلاده نقطة البداية في تشكيل نظرته إلى نفسه وإلى وطنه وكذلك إلى شركائه في صفة المواطنة وهذا يبرر جهد الفرد لممارسة صفة المواطنة والتمسك بها والدفاع عنها[94] حتى يشعر أنه مواطن في دولته.

وهذا يعني أن الدين الإسلامي لا يمس مبدأ المساواة بين الناس فقد قرر القرآن الكريم المساواة بين الأمم والشعوب وجعل التفضيل بين الناس بالأعمال الخيرية وبصلاح القول والفعل فلم تراع شريعة حقوق الأقليات مثلما فعلت الشريعة الإسلامية مع الأقليات غير المسلمة[95].

والمجتمع المصري عبارة عن أمة واحدة متجانسة موصولة التاريخ منذ أقدم العصور إلى الآن وهذا المجتمع تنتظمه جماعات صغيرة متفاوتة القدر والعمر ولهذه المجتمعات الصغيرة أو لهذه النظم الاجتماعية علاقات ووظائف.

وقد التمس الشعب المصري عصر البطولة في سير فرسان العرب ولكنه عدل في وظيفتها القبلية وحولها إلى وظيفة قومية وانتخب من بين هؤلاء عنترة وبني هلال وانتخب من أولئك "سيف بن يزن"[*] ثم أضاف من تاريخه الخاص سيرة الظاهر بيبرس الذي وقف في وجه الصليبيين والتتار وأنقذ العالم العربي منهما[96] كل ذلك دون تمييز بين مسلمين وغير مسلمين.

4-محمد عفيفي مطر والانتماء العربي الإسلامي:

لتحقيق الوحدة العربية لأمتنا من المحيط إلى الخليج لابد وأن تكون قناعتنا كعرب بها أساسية وثابتة وذلك من خلال منظومة تربوية رابطة بين أقطار الأمة العربية. "فالمستقبل العربي ككل ومستقبل كل قطر عربي رهين بما سينجزه العرب في السير في طريق تحقيق وحدة عربية حقيقية اقتصادية

وسياسية وثقافية. لأنه بدون خطة إنمائية عربية مشتركة ومتكاملة لن يستطيع العرب ضمان حاجاتهم من المواد الغذائية ومن المصنوعات بما في ذلك السلاح لقد أكدت تجربة العشرين سنة الماضية وستؤكد السنوات المقبلة أن أي قطر عربى لا يستطيع بمفرده تلبية حاجاته في الميادين السابقة وبالتالي لا يستطيع أن يتحرر بمفرده من التبعية سواء الاقتصادية منها أو الصناعية التقانية أو العلمية فلابد من الاستقلال الذاتي"[97].

وإتمام ذلك يتطلب الآتي:

أ- كسر حواجز الوهم بين الأقطار العربية:

ويؤكد محمد عفيفي مطر على ضرورة كسر حواجز الوهم بين الأقطار العربية ومقاومة الجهل والخرافات بها تطلعا لمستقبل عربي أفضل .. يقول عفيفي مطر:

حوائطُ الحواجز الوهميَّةْ
تحجُبُ إيقاعَ الصدى الذي يجيءُ
من صرخة القتلى وقعقعات العُدَّةِ الحربيَّة
وشهقةِ البيوتِ حينما تُخَلَّعُ من جذورِها ،
وألمِ المغاور السفليَّةْ
حين يجيئُها المخاضُ كلَّ ليلةٍ ..
تظلُّ في الدائرةِ الشرعيَّةْ .
أفتحُ الآن زجاجَ النافذةْ
علَّني ألبَسُ من لحم الظلامْ
جسدًا يسْتُرُ منفايَ المقامْ
بين جِذْرِ الأرضِ والزهرةِ في فَرع الغَمامْ.

من قصيدة: "سهرة الأشباح"[98] "والنهر يلبس الأقنعة".

هنا يقدم الشاعر عفيفي مطر الحواجز التي تبنى بينه وبين الآخرين من أخوته العرب حيث تنطمس الهوية (من إيحاء شهقة البيوت حيث تخلع من جذورها) بفعل عامد وانتشار الفقر والدجل والخرافات (ألم المغاور السفلية) وتكرار هذه الأحداث حتى أصبحنا في عرف البشر برنامجا ثابتا كل ليلة ، ويؤكد محمد سعد شحاته إلى أن ذلك صار تعريفا لمعنى التواجد والشرعية بين البشر [99].

ب- ضرورة توحيد الصف العربي:

كما يشدد محمد عفيفي مطر على ضرورة توحيد الصف العربي وانتشاله من حالة الدمار والضياع وفقدان الهوية فالتغيير للأسوأ يجتاح كل شيء ، وقد شبه عفيفي مطر ذلك بحالة الماء الذي يشتعل فكيف النجاة؟!

هو الماء يشتعل الآن في النهر... كيف
النَّجَاءُ لكم أيها السابحون مع الملِ أو ضدَّه
والمراكبُ تهوي مفكَّكة (ليس من عاصمٍ)
والخطى غرقٌ
والمسافةُ بيني وبين بلادي وعرشي
دمٌ وتماسيحُ النار !!

من قصيدة: "فرح بالنار"[100] من ديوان "رباعية الفرح"

فلا أمل في تقدم هذه الأمة إلا بتوحيدها والخروج من تلك الحالة التي تسود الأوضاع العربية الحالية.

5-محمد عفيفي مطر ورفض (السلطة الغاشمة):

يرى عفيفي مطر أن السلطة الغاشمة هي سلطة ملتحفة بالقهر البوليسي التي ترى في استتاب الأمن مبررا لحدوث الاستبداد:

أمارسُ الدفاعَ والموتَ ، تمارسُ الأشياءْ
طقوسَها الليليَّةَ المكثَّفَةْ
كلُّ جدارٍ معبرٌ ، كلُّ زوايا الأرصفَةْ
أقدامُ شرطيٍّ يسيرُ سَيرهُ المُنتظما

من قصيدة: "سهرة الأشباح"[101] "والنهر يلبس الأقنعة".

6-عفيفي مطر ورفض الجمود:

هذا الجمود المعبر عنه بـ (الوجه الفارغ) الذي قد يلازم الحي فحالة الجمود والخراب التي تعتلي الأرض العربية قائمة ومازالت (الأرض كالجثة ممدودة) ويتم التخلص من هذا الجمود والخروج إلى حالة البحث الجاد والتفكير المستنير وعدم الاستسلام للنوم:

الأرضُ ـ كالجثة بعد الدفن ـ ممدودة
أرختْ يدًا صفرًا ووجها فارغا وجديلةً
بالرعب معقودة
واستسلمتْ للنوم

من قصيدة: "قصيدة وقراءة"[102] من كتاب "المنفى والمدينة".

7-عفيفي مطر ورفض إرث الحكم:

فالشعوب العربية عاشت دون اختيار حاكمها الذي يضع (العصا) أساسا لعلاقته بالشعب الذي على كثرته لا يحرك ساكنا فتميل الأرض بمظاهر ظلم هذا الحاكم ، فالأمة العربية المكتوبة بين ماءين مازال مقدرا لها أن تعيش موروثة:

والسماء مملكة مرسومة فوق مرايا الأرض ما بين
المحيطين..السما عرش مضيء ،
ورق الإرث ، عصا الحكم ،

وشعبي عدد الذرِّ ورمل الصحراء
كرة الأفق سريرٌ ليلةَ الحلم ،
وشعبي أمة مكتوبة ما بين ماءين
"قصيدة وقراءة**"**(103)

8-عفيفي مطر ورفض الشعوبية والاستعمار:

يحث عفيفي مطر ضرورة البحث عن أفضل نظام سياسي يتوجه من قناعتنا القومية وعدم الاستسلام لفلول الشعوبية والانعزالية فالاستسلام حالة من حالات الموت وضياع روح المقاومة:

وتحجرت واستسلمت للنار
فارتدت النار عنها
لم تطهِّرْ وجهها الممسوخ
واستسلمت للنهر في التيار
لا الماء أغرق ما في الصدر من أسرار
ولا ارتمى احمرار الطمي في العينين
من بعد ما اسودَّتا بالرعب أو بالعار
وبعدما أبيضَّتا باليأس والإنتظار.
"قصيدة وقراءة**"**(104).

ثالثا: التربية السياسية عند محمد عفيفي مطر:

1-وقوف الأدب بجانب الإنسان:

على مر السنين الطويلة يقف الأدب دائما مع الإنسان ضد ما يهدد كيانه، والسياسة في نظر الأدب هي من صنع الإنسان وحده وليس لعلم السياسة معنى أو مغزى إلا عند الإنسان ، أي أن الإنسان هو صانع سياسة عصره والأديب الناجح يقف موقفا محددا من النظم السياسية ، فإذا كانت

ديمقراطية فإنه يساندها بكل قوة حتى تمنحه المزيد من حركة التعبير الفني عن كل المضامين السياسية التي تخطر بباله ، وإذا كانت النظم غير ديمقراطية فإنه يقاومها بكل وسائله الفنية[105].

والشاعر أو المثقف الحر يعتقد أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان وأن الفقر الثقافي والأيديولوجي هو على الأقل أمر سيء مثل الفقر المادي وإن لم يكن أشد سوءا ، كما أنه الاستسلام لتزييف الوعي نوع من المرض يحاول عبر خطابه التنويري الذي يلقى بالقارئ في "غابة صبار" تكشف له أغوار المأساة التي يحياها وضرورة سعيه للفكاك منها[106].

ولما كان الإنسان شبكة من العلاقات لا يمكن تغيير جانب منها بدون تغيير الجوانب الأخرى فهل يمكن أن يلازم فكر متنور نظاما اقتصاديا ساحقا للإنسان؟ وهل يمكن أن نحرر الإنسان فكريا ونستغله اقتصاديا؟ وهل يمكن مقاومة القهر بدون إدراك العلاقات الدقيقة بين مختلف الحقول الإنسانية[107].

2-مفهوم التربية السياسية:

والتربية بدورها الفاعل كعملية اجتماعية فإنها تستمد مادتها من ثقافة المجتمع وتتغيا بغاياته وطموحاته وتنطلق بالتالي من فلسفته وإطاره الفكري العام وهذا لا يتأتى إلا بوجود: مرب على وعي سياسي بسياسة المجتمع وبعقيدته وباقتصاده وبتياراته الفكرية الفرعية وبمجمل أدابه وأعرافه من خلال الاستناد إلى خيط يربط حبات المسبحة وما ذاك إلا من خلال الوعي بالركائز الأساسية للمنظومة الفكرية التي يقوم عليها المجتمع وتعيش بها وعليها الأمة[108].

ولما كانت عملية تغييب الفرد في دوامة الحياة وسعيه الدائم للبحث عن لقمة عيشه من خلال معاناة يومية قاتلة وطاحنة فقد جهل الفرد كل مبادئ الحياة الحرة الكريمة والتى يقوم استمرارها على الحرية والديمقراطية والمساواة

والعدالة فقد أصبحت قدرته على تغيير المجتمع للأفضل منعدمة وصارت فعالياته في المجتمع سلبية بل منعدمة تماما.

ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بتربية سياسية تعمل على تغيير الواقع الاجتماعي إلى ما هو أفضل في إطار القيم والمصالح الاجتماعية... ولكي يتغير الواقع الاجتماعي لابد أن يتغير الناس، يتغيروا من جهل إلى معرفة ومن خمول إلى نشاط ومن مواطنين بالقوة إلى مواطنين بالفعل ومن غيبوبة إلى وعي والتربية السياسية هي أن تتيح لهم الفرصة لتحقيق هذا التغيير وأن تجعلهم يصنعونه بأنفسهم[109].

3-أهداف التربية السياسية عند محمد عفيفي مطر:

يؤكد عفيفي مطر أن الشاعر الذي ينتج شعرا واعيا يصر على مهمته التربوية كرائد يستشرف آفاق المستقبل من خلال نظرته الثاقبة إلى مكونات الواقع الراهن وبهذا يستطيع تصحيح مسار الفكر السياسي.

كما أن الشاعر المعاصر الداخل في نسيجه مجتمعه عليه تجسيد الوضع السياسي في ضوء جديد ، وذلك بأن تمتلك أشعاره المتذوقين لا عن طريق المطابقة السلبية بينهم وبينه بل عن طريق مخاطبة الوجدان والعقل ودفع العقل إلى اتخاذ قرارات ومواقف إلى انتهاج سلوك معين[110].

وتهدف التربية السياسية إلى تنمية ثلاث ركائز أساسية هي:

1. تنمية الذات السياسية.
2. تنمية الوعي السياسي.
3. تنمية المشاركة السياسية.

1- تنمية الذات السياسية:

في غمرة الأحداث المتعاقبة التي يشهدها واقعنا المعاصر والتحولات العميقة والشاملة تبرز أهمية تحديد تعريف دقيق للذات السياسية وذلك

لمعرفة درجة التحولات التي تجري في دماء العقل وفي مظاهر الوجدان السياسي والاجتماعي في مجتمعنا وقد تم تحديد تعريفات كثيرة للذات السياسية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر بعض التعريفات والتي تقول: بأنها مجموعة التوجهات السياسية التي تتكون لدى الفرد نحو العالم السياسي بما فى ذلك وجهات نظره حول دوره السياسي الخاص وتنطوي الذات السياسية على أبعاد مثل: المعلومات والتصورات المتعلقة بالعالم السياسي كما تنطوي على وجهات نظر إيجابية أو سلبية محايدة تحدد علاقة الفرد بالرموز السياسية وأنماط الولاءات والتوجهات الأيديولوجية والتقويمات نحو المسائل السياسية وهذه الجوانب يكتسبها الفرد من خلال عملية التنشئة السياسية[111].

والتسليم بالعولمة نتيجة التحولات السريعة يدفعنا إلى إيجاد تعريف للذات السياسية يستوعب تلك التحولات وهذا التعريف لابد وأن يكون مستوعبا لكل ما يدور حولنا بخطوات التعامل الإيجابي والعلمي مع تلك العولمة. وللتخطيط السليم لمواجهتها وللعمل الشاق الذي يتعين أن نقوم به لنصبح قادرين على التعامل معها والتعبئة القومية التي يتعين حشدها لبناء قوانا الذاتية والتسلح بالقدرات والخبرات اللازمة لعصر جديد والتعامل مع الواقع الجديد بآليات مناسبة وبعده أحسنا إعدادها من علم ومعرفة وتكنولوجيا متقدمة هي أدوات العصر وأسلحة المستقبل[112].

يرجع مطر تنمية الذات السياسية مرتكزة في مراحلها الأولى على السلوك الديمقراطي في الطفولة وتعامل الأسرة مع الطفل خلال عملية التنشئة الاجتماعية أو في رعاية المدرسة خلال عملية التعليم ونمو الطفل النفسي يساعد الطفل على اكتساب العديد من الأسس فالطفل لا يستطيع الاكتفاء من تعليمات الأسرة ودروس المدرسة ليكون قادرا على استيعاب مضمونها[113] ويمكن تعريف تنمية الذات السياسية عند مطر: إلا إذا كان

يفهم ويدرك تلك التعليمات على أساس تحديد الخصائص والمعالم الأساسية للثقافة الإسلامية والعربية والبحث الجاد عن عناصر اللقاء بينها وبين عناصر الثقافة التي تتجمع هذه الأيام لتكون رؤية مشتركة واختيارا جديدا لشعوب العالم كما ينبغى أن يكون المسلمون شركاء في أساسيات الثقافة العالمية وشركاء في تحديد معالم الأساس السياسي والثقافي والأخلاقي للنظام العالمي الجديد وتربية الفرد على حرية التعبير عن رأيه وإبراز ذاته ودفعه لاكتساب القيم والمعتقدات السياسية الصحيحة وتنمية قيمة الانتماء لعروبته وسماحة قبول الآخر بالشورى وتعزيز قيمة التسامح لديه والتأكيد على ترسيخ قيم المساواة"[114].

ويرى عفيفي مطر أن تنمية الذات السياسية لابد أن تبدأ من القرى والنجوع ، تلك القرى التي تعيش في غربة وهي على ضفاف النهر وعندما يودعها لا تجد لديها ما تقدمه له إلا أن تلبسه أساور صنعتها من طين الأرض هذا الطين واهب كل المعاني الجميلة وقد صارت تلك القرى عارية ورغم عريها المادي فقد منحته زوادة قبل الرحيل رغم تهميشها وتهميش أهلها لا تمتلك شيئا تمنحه له قبل الرحيل سوى أساور من طين دلالة حب ومودة هذه الأساور الطينية مصنوعة من جوع القرى وفقر أهلها هذا الإنسان الخانع في أعماق الريف المصري:

ألبستنى القرى عُريَها معطفًا وأساورَ طينيةً
من مجاعاتها ، وهبتني قُبيل رحيليَ زوّادةً من
مواويلها ، والبكاءُ برجليَّ خفّان ، أبوابُها موعدٌ
للبكاء وأعتابُها غربةٌ تترجّل في وطن الروح ،
والثأرُ أحصنةٌ حمحمتْ تحت شمس الشراسة ،
ألقتْ بفرسانها في برار من الماء والنارِ ،
والنهرُ يّغْدُرُ بالجثث الطافية

وكل القرى انتظرت جثث الميتين بعيدًا ..
فهل يفتح النهرُ أبوابه في سواعدهم ،
هل يجيئون .. هل؟!

من قصيدة: "حلم تحت شجرة النهر"[115] والنهر يلبس..

فقد منحته القرى ما يستره حتى لو كان ذلك عريها وهو بالتأكيد عري مادي نتيجة الفقر الذي يعيشون فيه فكانت زوادتها المواويل فنجد هذا الربط بين الشاعر وتراث القرى (في المواويل) حتى صار هذا التراث جزءا أصيلا من معالم بناء وتنمية ذاته يتزود به في غربته واصفا حال القرية المصرية وهي تودع أحد أبنائها بالبكاء (والبكاء برجلي خفان) ويودعه أهلها حتى أبواب القرى التي تصبح موعدا للبكاء وتوصله للباب "حدود السفر وبدايته".

هذه الصورة لمحنة القرية المصرية لا يشعر بها أحد ولا يأنس بفقرها حاكم كيف لها أن تبني ذوات أبنائها؟ كيف لها أن تثور؟ وتشارك؟ إنها صنيعة الحاكم وغاياته.

2-تنمية الوعي السياسي:

يشار إلى الوعي السياسي بوصفه حالة ذهنية تتمثل في إدراك الإنسان للعالم على نحو عقلي أو وجداني وهذا يعني أن الوعي هو الخاصية التي تتيح للإنسان أن يمتلك وجوده على نحو ذهني ، وتأسيسا على هذا يتجلى الوعي الإنساني في صور شتى تتباين بتباين المجال المدرك أو موضوع الوعي حيث يعرف الإنسان أشكالا متنوعة من الوعي كالوعي الديني والوعي السياسي والوعي العلمي والوعي الأخلاقي... ومن هذا المنطلق يمكن القول إن الوعى السياسي هو الحالة التي يتمثل فيها الفرد أو أفراد المجتمع قضايا الحياة السياسية بأبعادها المختلفة ويتخذون من هذه القضايا موقفا معرفيا ووجدانيا في الآن الواحد[116].

والوعي هو "شحنة عاطفية وجدانية قوية تتمكن في كثير من مظاهر السلوك لدى الفرد ويتم تكوين الوعي من خلال مراحل العمل التربوي في مختلف مراحل التعليم ، وكلما كان الوعي أكثر نضجا وثباتا كان أكثر قابلية لدعم وتوجيه السلوك في الاتجاه المرغوب فيه"[117]. كما يمكن تعريف الوعي بأنه "الإدراك والتنبه والفهم للنفس والعالم الخارجي وللانتماء الاجتماعى وينتج عن التأمل للعالم الموضوعي والعمل والفعل الاجتماعي بكل أوجهه ويؤدي الوعي إلى اتخاذ مواقف فردية وجماعية عملية أي أن الوعي مرتبط بالسلوك وتلعب اللغة دورا مهما في عملية الوعي"[118].

أما الوعي السياسي فهو: "مجموعة من القيم والاتجاهات والمبادئ السياسية التي تتيح للفرد أن يشارك مشاركة فعالة في أوضاع مجتمعه ومشكلاته يحللها ويحكم عليها ويحدد موقفه منها ويدفعه إلى التحرك من أجل تطويرها وتغييرها"[119].

- عفيفي وتنمية الوعي السياسي:

يرى عفيفي مطر أن تنمية الوعي السياسي تكون من خلال رؤية تربوية واضحة أسستها منظومة قيم سياسية جمعت بين الحرية والديمقراطية والعدل....الخ .. تحدث أثرها في تأصيل مفهوم ذلك الوعي السياسي ليظهر بوضوح في مراحل سياسية معينة وتؤكد قصيدة "حلم تحت شجرة النهر" هذا بوضوح:

وأنا أكسر من فوق النواويسِ وأحجار المياه
خاتَمَ الطمي ..
افتح في كسرة الليل الدهاليزَ
أنا أكسر أختامَ الملوك ،
انتشري من ورق الوقت وجميزة نيرانِك ..

في كل كلام شَرَك يخْتانُ نهديْكِ ،
اركضي في خطواتي والبسيني جسدًا ،
وانتشري من ورق الصرخة والفتح ..
أراهم يقتلون ألآن أبناءك ،
يَسْتَحْيُون أبناءَ المماليكِ
فهل أسْميتني قبل الرحيلْ
وطنًا! هل أنتِ خبَّأتِ بأعضائي شعبًا؟!
وأراهم يقبلون
مدنًا تصهل في أهدابها الظلمةُ.

من قصيدة "حلم تحت شجرة النهر"[120] والنهر يلبيس....

يحاول عفيفي مطر بوعي سياسي يسعى لتأكيده تصحيح مسار عصره السياسي بإعطائه قوة الدفع للظروف السياسية (مكاشفة الحكام) بفض السكوني المختوم وذلك بما تتيحه له ثقافته السياسية وسعة أفقه وقدرته على الرؤية البعيدة والعميقة ، ولا يتأتى ذلك إلا بوعي سياسي نافذ فتلك البلاد (خطواته تركض فيها) يحمل في وعيه وطنا وبين جوانحه شعبا وها هو الشعب يقبل بوعيه "مدنا" مترابطة تبطل "الظلمة" وتتبدى هنا ذات الشاعر التربوية التي لا تتمثل في كون تجربته تختلف في أساسها عن تجارب غيره من أبناء عصره وإنما في كونها أقوى منها وأوضح في الوعي وأشد تركيز أو لابد أن تقدم رؤية جديدة بحيث تكشف عن الظروف السياسية والعلاقات الاجتماعية الجديدة بحيث يعيها الآخرون أيضا.

3- مطر والمشاركة الساسية:

من السائد أن الخطاب السياسي هو المحور للخطاب التربوي في النظم السياسية الحاكمة وتنهار التربية في مجتمع تابع لغيره حيث تنقطع صلته بما

يحدث حوله ولا ينظر في أبجديات تواجده على الساحة وعلى هذا الأساس... أرى أن هناك سياسة معلنة بعيدة كل البعد عما يحدث بالفعل ومنها تكون الحاجة إلى تربية سياسية صادقة تدفع الفرد للمشاركة الجادة والإيجابية في صياغة أموره العامة والمرتبطة بمجتمعه الذي يتعايش معه وتمكنه من المشاركة في رسم سياسة المستقبل بعدم عزله عن الحياة السياسية وتربيته تربية سياسية فعاله ضمن منظومة ممارسات تعتمد على الوضوح والحرية والشفافية والقدرة على الاختبار بكل ثقة.

وبالطبع فإن حدوث ذلك سوف يقود إلى إنجاح سياسة المستقبل ، ونجاح سياسة المستقبل ينطوي على إدراك النظام التربوي المشاكل المنطوية تحت التكوين الحالي للمجتمع المصري الذي تفشت فيه بصورته الحالية عيوب وصفات تضعف من حيويته ومن قدرته على مواجهة مجريات المستقبل والدخول فيها[121].

لأن ذلك من شأنه تحقيق التنمية التي ينشدها مجتمعنا المصري وينهض ذلك على مبدأ الشورى في الفكر السياسي والنظر لكل الآراء المشاركة باهتمام وجدية ، فتوافر مبدأ الشورى "يتيح العديد من الفرص لفتح باب الاجتهاد والابتكار والإبداع لأنه إذا وقعت المشورة واجتهد الأفراد في إبداء الرأي وتقنينه وبذلوا الجهد في الوصول إلى الصواب فيكون القرار أقرب إلى الإلتزام والضرورة العمومية وتصبح له صفة القانون ويعتبر الخروج عليه انحرافا عن حادة الصواب يستوجب المساءلة والعقاب[122].

- رؤية محمد عفيفي مطر للمشاركة السياسية:

يقف عفيفي مطر موقفا واضحا من مسألة المشاركة السياسية إذ يعتبرها من الأسس الهامة في التربية السياسية وهي الفاعلة في تحريك الركود

السياسي ومقاومة الاستبداد ومن ثم هيئاته وأشكاله وطقوس ذلك الاستبداد، وتعتبر المشاركة السياسية نوعا من الخروج على الحاكم المطلق المستبد فتكون بذلك جريمة يعاقب عليها بالسجن أو الحجر أو التوقيف أو النفي أو الإرغام أو المصادرة (لوركا ـ الحلاج ـ ابن رشد ـ أحمد عرابي ـ سقراط ـ جاليليو) ....الخ صراع بين القوى التي تمتلك الوعي المشارك بالتغيير والقوى الظلامية الكلسة المتأبدة.

كما يرى عفيفي مطر مشاركة رجل الشارع في تنمية الحس الجماعي العام لسياسة مجتمعه ، ويرى أن مملكة الشوارع التي يبشر بها قادمة وهي التي سوف تفكك هذا الاستبداد بكل صوره وأشكاله:

مملكة أخرى :
واسعةٌ خُطوةُ الشمس ، أوسعُ منها غيومُ
القصائد في القلب ، أوسعُ منها يدٌ وفمٌ يرفضان
رغيفَ المماليكِ ..
والأرضُ واسعةٌ يتناسل فوق خرائبها عنكبوتُ
الأقاليم ينْفَرطُ الملكوتُ الملوَّنُ أسْيجَةً وبلادًا ..
وأوسعُ منها دمي ووضوئي المباغتُ في رجفة الجرح ،
أوسعُ منها حصيرةُ نومي على قبة الحلم ..
مملكتي لا تزولُ إلى آخر الدهر ،
مملكتي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ
ومملكتي شارعٌ ورصيفان تطلع بينهما
خطوة الرقص جُمّيْزةً للغداءِ الجماعيّ
نكتبُ فوق الأكفّ مواعيدنا ، نتحسسُ
قاروةَ اللون والأرضُ تضحك ملءَ الفروع ،

الأباريقُ تهوي مكسّرةً في كتاب القوانين ،
نكتبُ نارًا مُجَنَّحةً ..
كلما غسل الموتُ أوجُهَنا اقترب الفجرُ ..
هذا وضوءُ الكتابة ،
نَصْطَفُّ في حضرةِ الحلمِ ..
نكتب مملكةً للشوارع ..
هذي الشوارعُ مملكةٌ يَتَبَطَّنُها الحلمُ والرقصُ ،
تَلْتَمُّ أصواتُها جسدًا للقصائدِ
أزمنةً للجنون المبرْقشِ بالماءِ والشمس ..

من قصيدة: **"مملكة أخرى"**[123] والنهر ...

نجد في القصيدة السابقة انكشاف المقدس عن الوطن والأنا عن السياسي وعلاقتهما "بديلا عن الأيديولوجي" ويتوسل عفيفي مطر هنا إلى هذا الانكشاف من خلال تقنية لغوية بسيطة هي أفعل التفضيل والتنقل بواسطتها من المفضول الواقعي إلى الفاضل الانفعالي الذي يمتد به ليمس به وقائع ما يرفض ويبئر من دلالتها على موقف "الأنا" فيمارس طقس التبشير بمملكة الشوارع أو الكمال وتحقق الأنا.

فالشعب هو صاحب القول الفصل وله حق الاختيار وكامل الحرية فإرادته هي التحقق فيكون كمال الانتماء وإعجاز الفعل. هذا الرأي العام الذي يتم تغييبه بجهد منظم وواضح من قبل السلطة ويسري ذلك على أغلب المجتمعات النامية "فلا رأي عام يلجأ إليه المثقف إذا قرر أن يتمسك بموقفه وأن يقول كلمته دون خوف"[124].

ويؤكد برتراندراسل على ذلك بقوله: "إنه لا يمكن المحافظة على التقدم وقتا طويلا إلا في جو من الحرية حتى في أمور مثل التكنيك العسكري

ولذلك فإنني أثق أن الدول التي تحافظ على الحرية العملية والفكرية ستكون أكثر كفاءة في الحرب من تلك التي تخضع للديكتاتورية"[125].

ولا يغيب عن الذهن أثر المجتمع الأبوي في تغيب الرأي العام والمشاركة السياسية ، فهو يقوم بدور فاعل على تكريس الثبوتية والسكون وإبقاء الحال كما هو عليه ، وقد أدى ذلك إلى خسارة جيلنا العربي كل معاركه لتحقيق التقدم والانتصار لقضيتنا العربية (القضية الفلسطينية) وانتهاء باحتلال العراق في أبريل 2003م.

ويرى هشام شرابي تلك الرؤية متنبئا بها من قبل أن "السبب الرئيسي في خسارة هذا الجيل العربي لمعاركه مع (العدو/التخلف/الرجعية) يتمثل في التركيب الاجتماعي البطركي والعلاقات المهيمنة فيه"[126].

وقد سلط عفيفي مطر رؤيته الإبداعية على العالم من حوله وعلى محيطه العربي. فالإبداع عندما يسلط رؤيته على العالم يجسد نفسه في مواجهة مباشرة مع الزمن متمثلا في اللحظة المفردة وكأنها وعي مستقل بذاته عما يسبقه وما يلحظه أو لنقل إن اللحظة تساوي الحاضر الذي يحاصر الرؤية ويشدها إليه ، والرؤية هنا بدورها تسعى إلى تجميد لحظة الحضور وقطعها عن السابق واللاحق ، وفي هذه الحالة نتمكن من استيعاب "اللحظة" بكل مكوناتها المأسوية أو غير المأسوية ثم تنتقل إلى لحظة أخرى منتجة سلسلة من اللحظات المنفصلة والمتصلة على صعيد واحد وهو ما يسمح بالمتابعة الكلية والجزئية[127] وتلك المتابعة الكلية والجزئية تجعل الكتاب والفنانين أقل الناس انبهارا بالشعار الاقتصادي الذي يرفعه السياسيون بأننا: "نعيش أزهى فترات تاريخنا" وسواء صدق هذا الشعار على المستوى المادي المحض أو لم يصدق فالحقيقة المرة أن الحياة الحديثة كئيبة وطاحنة"[128].

والأمل معقود في حدوث تحولات جادة نحو تحقيق بناء سياسي قادر على الوقوف أمام كافة التغييرات مستوعبا آمال الجماهير وطموحاتها الخلاقة في أن تعيش حياة ديمقراطية حقيقية.

فقد عرفت المجتمعات العربية ولعدة عقود خلت مجموعة هامة من التحولات البنيوية المتباينة حدة وعمقا طالت العديد من أسس ومقومات ومظاهر الحياة الاقتصادية والثقافية والتربوية والسوسيوحضارية العامة ، وإذا كان منظرو أدبيات التنمية والتخلف والتغيير الاجتماعي قد اعتبروا جزءا من هذه التحولات مؤشرات دالة على ما تعيشه هذه المجتمعات من تجارب إيجابية في مجملها للانتقال الديمقراطي إلى أوضاع التنمية والحداثة والتقدم وإلى مستوى التأهيل للانخراط في زمن العولمة بثقافتها وشروطها وشروط نظامها الكوني الجديد ، فإن فصيلا آخرا من هؤلاء المنظرين يرى على العكس من ذلك أن مجتمعاتنا العربية لم تنتج عبر مسيرتها الطويلة منذ استقلالاتها الشكلية إلى الآن غير تجارب الفشل والإحباط واللاديمقراطية[129].

وتعكس مساحة المشاركة السياسية في الوطن العربي حجم الديمقراطية المتاحة برغم كل المواريث والمحاذير والتحديات حيث نجد رباطا بين الانتكاسات التي عانت فيها دول عربية مختلفة وبين الأنظمة الديكتاتورية وحكومات الفرد الواحد وغياب المشاركة السياسية وضعف التمثيل الديمقراطي ، وهناك حقيقة مؤكدة تفيد أنه كلما فتحت أبواب الحريات ونوافذ الفكر والإبداع فإن الأمة تنتقل بالضرورة إلى الأفضل أما الجمود والتخلف والسكون فهذه كلها حالات تتعارض مع ديناميكيات الحياة وتتعارض مع قوانين حركة الوجود ، والديمقراطية الحقيقية هي بوابة الدخول لعصر جديد وبخاصة عصرنا الذي يسيطر عليه فكر العولمة وروح المنافسة وتتحكم فيه أساليب لم تكن مألوفة لنا أو لغيرنا في عصور سبقت[130].

خاتمة

ومن ثم تبدو التربية السياسية ضرورة ملحة للأجيال الجديدة في عالمنا العربي بصفة عامة ومجتمعنا المصري بصفة خاصة دون الاستناد إلى نظرة ضيقة أو رؤية محددة ، فالافتقاد إلى منهج عصري للحديث أدى إلى غياب الرؤية وسطحية الفكر والإزدواج النظرة[131]. ففي الوقت الذي قامت فيه الدولة الحديثة والمجتمع العصري على أسس من عقلانية ضابطة وموجهة لعلاقات الحاكم والمحكوم ولمفاهيم الحق والسلطة والحكم تستمر فى مجتمعاتنا العربية تصورات تقليدية ـ أسطورية خرافية لا عقلانية أحيانا للعلاقات والمفاهيم وهو واقع تعاظمت فيه أنماط عبادة الشخصية وتقديس الزعيم أو الحاكم بشكل يدعم الكثير من التبادلات والروابط القرابية والولائية والرشوة والمحسوبية مما يتنافى مع قيم العقلانية والحداثة والديمقراطية وينسجم مع مسلكيات الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي العام الذي تحول في الكثير من مجتمعاتنا العربية إلى ثقافة متجذرة معتقدات وممارسات[132].

حيث شكل غياب الديمقراطية في مجتمعنا العربي إلى استشراء الفساد وتقزيم المشروعات الكبرى وتحويل المواطنين إلى متفرجين ورعايا أذلاء ، وكان الفساد السياسي عنصرا أساسيا فى نزع ثروات البلاد وإعادة تقسيمها لصالح الأغنياء الجدد ، فنرى أغنياء "البزنس" الذين نهبوا أموال البنوك أو هؤلاء الذين تاجروا بمدخرات الفقراء تحت راية الدين باسم شركات توظيف الأموال حين تحولت الدولة إلى غنيمة لأثرياء الانفتاح الاقتصادي الذين نبتوا كالفطر متحصنين بالنفوذ العائلي أو النفوذ النفطي الرجعي أو علاقات المصالح مع الحكام مستهينين بمصالح الشعب ، وقد عجز الشعب عن الدفاع

عن نفسه بسبب قمع الحريات وغياب الديمقراطية حيث بدأ ليل طويل وهـذا ما يؤكده عفيفي مطر:

هذا الليل يبدأ
فابتدئْ موتًا لحلمك وابتدعْ حلمًا لموتكَ
أيها الجسدُ الصَّبورْ
"الخوفُ أقسى ما تخافُ" .. ألمْ تَقُلْ ؟!
فأبدأ مقام الكشف بالرهبوت
وانخُلْ من رمادِكَ وانكشفْ عنكَ
اصْطفِ الآفاق مما يُبدع الرخّ الجسورْ..

من قصيدة: **"هذا الليل يبدأ"**[133] احتفالات.....

obeikandl.com

مراجع الفصل الرابع

(1) على أسعد واطفه: "التحديات السياسية والاجتماعية في الكويت والوطن العربى" ، مجلة عالم الفكر ، المجلد (31) ، العدد (3) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يناير/مارس 2003 ، ص 65.

(2) المرجع السابق: ص 66.

(3) محمد جواد رضا: العرب في القرن الحادي والعشرين: تربية ماضوية وتحديات غير قابلة للتنبؤ ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، السنة العشرون ، العدد (230) ، ابريل 1998 ، بيروت ، ص 47.

(4) وثيقة تعليم الأمة العربية في القرن العشرين "الكارثة والأمل" ، المعهد العربي للتخطيط ، التقرير التلخيصي لمشروع مستقبل التعليم في الوطن العربي ، تحرير: سعد الدين إبراهيم ، القاهرة ، 18-30 أبريل 1992 ، ص 37.

(5) علي حرب: العربي بين اسمه وحقيقته (أو نقد العقل الوحدوي) ، عالم الفكر ، المجلد (26) ، العددان الثالث والرابع ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يناير ـ يونيو 1998 ، ص ص 160 ، 161.

(6) علي أسعد واطفه: التحديات السياسية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 69.

(7) محمد إبراهيم المنوفي: التربية وإعادة البناء السياسي في فكر د.محمد عماره. من خلال رجاء فؤاد غازي ، الفلسفة التربية للاتجاه القومي العربي، رسالة دكتوراة غيرمنشورة ، كلية التربية بكفرالشيخ ، 2001 ، ص 181.

(8) محمد أحمد خلف الله: التكوين التاريخي لمفاهيم الأمة ، ندوة القومية العربية

والإسلام ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 21.

(9) عبدالرحمن خليفه: في علم السياسة الإسلامي ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1989 ، ص 243.

(10) هارولدج لاسكى: مدخل إلى علم السياسة ، ترجمة: عز الدين محمد حسين، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1980 ، ص 24.

(11) محمد علي العوينى: العلوم السياسية: دراسة في الأصول والنظريات والتطبيق ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1988 ، ص 15.

(12) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(13) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(14) بيتر بتلور: الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر ، الجزء الأول ، ترجمة: عبد السلام رضوان ، العدد (182) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يونيو 2002 ، ص 295.

(15) المرجع السابق ، ص 66.

(16) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات المؤمياء المتوحشة) ، مرجع سابق ، ص 526.

(17) محمد حربي: عفيفي مطر على بوابة الستين: حوار: محمد حربي ، مجلة أدب ونقد ، حزب التجمع الوطني ، العدد (121) ، سبتمبر 1995 ، القاهرة ، ص 88.

(18) حديث الشاعر مع الباحث 2002/4/15.

(19) عبدالرحمن خليفه: فى علم السياسة الإسلامى ، مرجع سابق ، ص 65.

(20) حديث عفيفى مطر للباحث 2002/4/15.

(21) حيث الشاعر للباحث 2002/4/15.

obeikandl.com

(22) رجاء فؤاد غازي: الفلسفة التربوية للاتجاه القومى العربي ، مرجع سابق ، ص ص 187 ، 188.

(23) المرجع السابق ، ص 188.

(24) الآية رقم: (38) من سورة الشورى: "الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون".

(25) إمام عبدالفتاح إمام: مسيرة الديمقراطية "رؤية فلسفية" ، عالم الفكر ، المجلد (22)، العدد الثاني ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب ، الكويت ، نوفمبر/ديسمبر 1993 ، ص 7.

(26) محمود الكردي: التخلف ومشكلات المجتمع المصري ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979 ، ص 26.

(27) حديث الشاعر مع الباحث 2002/4/15.

(28) إمام عبدالفتاح إمام: مسيرة الديمقراطية ، مرجع سابق ، ص 11.

(29) حديث الشاعر مع الباحث 2002/4/15.

(30) مصطفى الفقي: العرب الأصل والصورة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2002 ، ص 66.

(31) محمد عماره: الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص 54.

(32) مصطفى الفقي: العرب الأصل والصورة، مرجع سابق، ص ص66، 67.

(33) جون ستيوارت مل: عن الحرية ، ترجمة عبد الكريم أحمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2000 ، ص 22.

(34) زكريا إبراهيم: مشكلة الحرية، ط3، مكتبة مصر، القاهرة، 1971، ص18

(35) محمد عزيز الحبابي: من الحريات إلى التحرر ، مكتبة الدراسات الفلسفية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1972 ، ص 19.

(36) عثمان خليل: الديمقراطية في الإسلام ، الكتاب الثانى ، سلسلة الثقافة الإسلامية ، المكتب الفنى للنشر ، القاهرة ، 1958 ، ص 44.

(37) هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية ، المجلد الأول ، ترجمة وتقديم وتعليق: إمام عبدالفتاح إمام ، دار التنوير ، بيروت ، ط1 ، 1983 ، ص 56.

(38) عصام الدين هلال: الحداثة وما بعد الحداثة ، مرجع سابق ، ص 100.

(39) حديث الشاعر مع الباحث 2002/4/15.

(40) محمد عماره: الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص 23.

(41) مصطفى العبادي: ديمقراطية الأثينين: عالم الفكر ، المجلد (22) ، العدد الثانى ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أكتوبر 1993، ص 71.

(42) فتحي عبدالله: عفيفي مطر من المحدود إلى المطلق ، حديث بمجلة القاهرة ، العدد (73) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، يوليو 1987 ، القاهرة ، ص 55.

(43) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(44) عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1997 ، ص 53. (مكتبة الأسرة).

(45) جون ستيوارت مل: عن الحرية ، مرجع سابق ، ص 84.

(46) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات المؤمياء...) ، مرجع سابق، ص 265.

(47) عصمت سيف الدولة: نظرية الثورة العربية: الأسس ، جدل الإنسان أولا وأخيرا ، دار المسيرة ، بيروت ، 1979 ، ص 191.

(48) عاصم أحمد عجيله ، محمد رفعت عبدالوهاب: النظم السياسية (ثقافة قانونية سياسية وأخلاقية)، الطبعة الخامسة، نهضة مصر، القاهرة، 1992، ص ص 140-141.

(49) حديث الباحث مع الشاعر 2002/4/15.

(50) مصطفى محسن: التربية ومهام الانتقال الديمقراطي في الوطن العربي ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد (294) ، أغسطس 2003 ، لبنان ، ص ص 39 ، 40.

(51) نفس المرجع السابق: ص 35.

(52) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات المؤمياء...)، مرجع سابق ، ص 397.

(53) نفس المرجع السابق: ص 396.

(54) صلاح السروي: المشهد الرمزي وخيال الاستبدال في ديوان فاصلة إيقاعات النمل لمحمد عفيفي مطر ، مجلة أدب ونقد ، العدد (121) ، حزب التجمع الوطني ، القاهرة ، سبتمبر 1995 ، ص 53.

(55) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(56) محمد عابد الجابري: الديمقراطية وحقوق الإنسان ، الطبعة (3) ، سلسلة الثقافة القومية ، (26) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1997 ، ص 131.

(56) عصمت سيف الدولة: عن العروبة والإسلام ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1986 ، ص 141.

(58) محمد عفيفي مطر: هوامش التكوين ، مرجع سابق ، ص 10.

(59) محمد عمارة: الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص 29.

(60) سورة التوبة: الآية (122).

obeikandi.com

(61) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (ملامح من الوجه....)، مرجع سابق ، ص ص 279 ، 280.

(62) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(63) حديث الشاعر للباحث 202/4/15.

(64) محمود شمال حسن: الخطاب التربوي وإشكالية تشكيل السلوك ، مجلة شئون عربية العدد (115)، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، فريق 2003، ص 120.

(65) محمد عفيفي مطر:الأعمال الكاملة (ملامح من الوجه...)،مرجع سابق، ص 269.

(66) محمد أحمد عبدالحافظ: عرض كتاب: "التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي" علي أسعد واطفة، مجلة شئون عربية ، العدد (114) ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، صيف 2003 ، ص 252.

(67) محمود شمال حسن: الخطاب التربوي العربي... ، مرجع سابق ، ص 121.

(68) محمد عفيفي مطر:الأعمال الكاملة (ملامح من الوجه....)،مرجع سابق ، ص 283.

(69) المرجع السابق ، ص 287.

(70) علي بن حسين المحجوبي: حقوق الإنسان بين النظرية والواقع ، عالم الفكر ، المجلد (31) ، العدد الرابع ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب ، الكويت ، ابريل/ يونيو 2003 ، ص 9.

(71) المرجع السابق: ص 8.

(72) مراد وهبه: جرثومة التخلف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1998 ، ص 101.

(73) المرجع السابق ، ص 102.

(74) محمد مصطفى أبوشوارب وآخرون: الإبداع فى الفيوم "بحوث ودراسات المؤترم العام لأدباء مطر فى الفيوم" ، الدورة (16) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2001 ، ص 9.

(75) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (ملامح من الوجه...)، مرجع سابق ، ص ص 323 ، 324.

(76) محمد جلال أبوالفتوح، علي عبدالمعطي محمد: الفكر السياسي في الإسلام (شخصيات ومذاهب) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990 ، ص 75.

(77) سمير عبدالحميد القطب: المتطلبات التربوية ، مرجع سابق ، ص 145.

(78) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(79) سورة النساء: الآية (58).

(80) محمد علي أحمد: أصول الاجتماع السياسي(السياسة والمجتمع في العالم الثالث)، ط2 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1985 ، ص 224.

(81) محمد عماره: الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص 67.

(82) محمد عفيفي مطر:الأعمال الكاملة (احتفالات....)، مرجع سابق،ص 507.

(83) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(84) محمد عماره: الأحلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص 68.

(85) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(86) جابر عصفور: هوامش على دفتر التنوير ، العدد (58) ، فكر الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط3 ، 2000 ، ص 402.

(87) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات....)، مرجع سابق، ص ص 509 ، 510.

(88) محمد عماره: العولمة وقضايا الفكر الإسلامي "ندوة الإسلام والعولمة" ، الدار القومية العربية ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 129.

(89) محمد عماره: الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص 65.

(90) سورة الشورى: الآية (17).

(91) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(92) محمد عابد الجارحي: حول الحوار القومي ـ الديني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1979 ، ص 70.

(93) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(94) هاني لبيب: عرض كتاب (المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية) ، علي خليفة الكواري ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (81) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، يوليو 2002 ، ص 129.

(95) حديث عفيفي مطر للباحث 2002/4/15.

(*) "سيف بن يزن" هو ملك يماني جعله الوجدان الشعبي مدافعا عن الإسلام ناشرا له بدأ بالإرهاصى لليل والتنبؤ بميلاده والقبيلة التي ينتمي إليها والمنطقة الذي يظهر فيها ثم حارب دفاعا عن الدين الجديد عقب ظهوره.

- محمد جبريل: "البطل في الوجدان الشعبي" ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أكتوبر 2000 ، ص 21.

(96) عبدالحميد يونس:مجتمعنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1998، ص 28.

(97) محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط3 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1994 ، ص 124.

(98) محمد عفيفي مطر:الأعمال المتكاملة (احتفالات....)، مرجع سابق،ص 12.

(99) محمد سعد شحاته: العلاقات النحوية وتشكيل الصورة الشعرية عند محمد عفيفي مطر ، مرجع سابق ، ص 194.

(100) محمد عفيفي مطر:الأعمال الكاملة (احتفالات....)،مرجع سابق،ص 182.

(101) المرجع السابق ، ص 8.

(102) محمد عفيفي مطر:الأعمال الكاملة (ملامح من الوجه)،مرجع سابق،ص58.

(103) المرجع السابق: ص 73.

(104) المرجع السابق: ص 58.

(105) نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب ، مرجع سابق ، ص 243.

(106) ماكس أديريث: أدب الالتزام ، ترجمة: عبدالحميد شيحه ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط1 ، 1989 ، ص 121.

(107) فريال جبوري غزول: مقدمة كتاب مدخل إلى السيميوطيقا ، إشراف سيزا قاسم ونصر أبوزيد ، جـ1 ، منشورات "عيون" ، الدار البيضاء ، 1986 ، ص ص 11 ، 12.

(108) سعيد إسماعيل علي: فلسفات تربوية معاصرة ، مرجع سابق ، ص 25.

(109) سعيد إسماعيل علي ، فاروق عبدالحميد اللقاني: الأصول السياسية للتربية السياسية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1983 ، ص 22.

(110) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(111) محمد علي محمد: أصول الاجتماع السياسي،الجزء الثالث(التغير والتنمية السياسية) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1968 ، ص 232.

(112) حسين كامل بهاء الدين: الوطنية في عالم بلا هوية (تحديات العولمة) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2002 ، ص 110.

(113) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(114) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

obeikandi.com

(115) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات.....) ، مرجع سابق ، ص 84.

(116) على أسعد واطفه: التحديات السياسية والاجتماعية ... ، مرجع سابق ، ص 70.

(117) أحمد البغدادي ، وفلاح المديريس: دراسة تحليلية لاتجاهات الرأي العام الكويتي
حول مختلف القضايا السياسية المحلية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (169) ، مارس 1993 ، ص ص 87-106.

(118) أحمد جمال ظاهر: اتجاهات التنشئة السياسية والاجتماعية في المجتمع الأردني: دراسة ميدانية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد (14)، العدد (3)، 1993 ، ص ص 43-72.

(119) أحمد حسين اللقاني ، علي الجمل: معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1996.

(120) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات.....) ، مرجع سابق ، ص ص 87 ، 88.

(121) محمد فؤاد جلال: التربية وعالم المستقبل ، مجلة دراسات تربوية ، المجلد الثامن ، الجزء الخمسون ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1993 ، ص 9.

(122) لطفي بركات أحمد: التربية والتنمية ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، 1989 ، ص 19.

(123) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات...) ، مرجع سابق ، ص ص 130 ، 131 ، 132.

(124) هشام شرابي: مقومات دراسة المجتمع العربي ، مرجع سابق ، ص 102.

(125) برتراندراسل: مقال دفاع عن الديمقراطية ضمن كتاب (في مدح الكسل ومقابلات أخرى) ، ترجمة: رمسيس عوض ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1998 ، ص 42.

(126) هشام شرابي: البنية البطركية (بحث في المجتمع العربي المعاصر) ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1987 ، ص 8.

(127) محمد عبدالمطلب: النص المشكل كتابات نقدية(92)، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، يوليو 1999 ، ص ص 235 ، 236.

(128) ماكس إديريث: أدب الالتزام ، مرجع سابق ، ص 120.

(129) مصطفى محسن: التربية ومهام الانتقال الديمقراطي في الوطن العربي ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد (294) ، أغسطس 2003 ، لبنان ، ص 28.

(130) مصطفى الفقي: العرب الأصل والصورة ، مرجع سابق ، ص 168.

(131) المرجع السابق: ص 184.

(132) هشام شرابي: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي ، ترجمة: محمود شريح ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1992 ، ص 33.

(133) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات.....) ، مرجع سابق ، ص 527.